الدودة والثعبان

www.liilas.com
florist

علي أحمد باكثير

فى المعركة :

الدودة والثعبان

مسرحية بقلم :

على احمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

(اشخاص المسرحية)
(بترتيب ظهورهم على المسرح)

١ ـ الجوسقى	: الشيخ سليمان الجوسقى شيخ العميان .	
٢ ـ طوبار	: حسن طوبار .	من زعماء الاقاليم
٣ ـ اباظه	: عبد الرحمن اباظة .	
٤ ـ العدبى	: على العدبى .	
٥ ـ ابن شعبى	:	
٦ ـ الشواربى	: سليمان الشواربى .	
٧ ـ كربت	: حسن كربت .	
٨ ـ كريم	: محمد كريم محافظ الاسكندرية .	
٩ ـ روستى	: قنصل النمسا فى مصر .	
١٠ ـ القاضى	: القاضى التركى ابراهيم افندم .	
١١ ـ ناصحة	: زوجة الجوسقى (أم داود)	
١٢ ـ داود	: ابن الجوسقى .	
١٣ ـ المهدى	: الشيخ محمد المهدى .	من شيوخ الازهر
١٤ ـ الشرقاوى	: الشيخ عبد الله الشرقاوى	
١٥ ـ السادات	: الشيخ محمد السادات .	
١٦ ـ عمر مكرم	: نقيب الاشراف .	
١٧ ـ ابراهيم	: ابراهيم بك .	من امراء المماليك
١٨ ـ مراد	: مراد بك .	
١٩ ـ ايوب	: ايوب بك الدفتردار .	

٢٠ ـ نفيسة : زوجة مراد بك .

٢١ ـ فرنسواز : من زوجات ضباط الحملة .

٢٢ ـ جاكلين : من زوجات ضباط الحملة .

٢٣ ـ نابليون : بونابرت قائد الحملة .

٢٤ ـ بوسيلج : مدير الشئون المالية .

٢٥ ـ بوهارنيه : يافور نابليون وابن زوجته جوزيفين .

٢٦ ـ ديزيه : من كبار القواد .

٢٧ ـ بدر : السيد بدر الدين المقدسي .

٢٨ ـ الصيلحي : الشيخ يوسف الصيلحي .

٢٩ ـ برتلمين : برتلمي الروسي (فرط الرمان) وكيل محافظ القاهرة

٣٠ ـ دبيوى : الجنرال دبيوى محافظ القاهرة .

٣١ ـ بون : الجنرال بون محافظ القاهرة بعد مقتل دبيوى .

٣٢ ـ يعقوب : الجنرال يعقوب .

جمعة عبد السميع ـ محمود عوضين ـ بطرس عوض : من الثوار .

حافظ ـ عبد القوى ـ على ـ عبد القادر ـ حمزة ـ غانم ـ عمارة . من اتباع الجوسقى العميان .

حاجب فرنسى ـ جنود من المماليك .

(الفصل الأول)

المنظر :

فى بيت الشيخ سليمان الجوسقى ، قاعة كبيرة توسطها فسقية يظهر فى المسرح جانب منها . القاعة لها ثلاثة أبواب :

الأول باب الخروج ويقع على الجانب الأيسر (لا يرى فى المسرح) .

والثانى فى أقصى اليمين ويؤدى الى باب الخروج الخلفى .

والثالث فى أدنى اليمين يؤدى الى داخل البيت .

وعلى دائر القاعة اراائك واطئة مبطنة بالمخمل الفاخر والأرض مفروشة بالسجاد الثمين .

الوقت : (فى أول الصباح)

حين يرفع الستار ترى الشيخ سليمان الجوسقى يدخل من الباب الثالث وخلفه زعماء الأقاليم « حسن طوبار وابن شعير وعلى العديسى وعبد الرحمن أبالة وسليمان الشواربى » وهم يمسحون افواههم كأنهم قاموا من طعام .

الجوسقى : ما اراكم اكلتم كما ينبغى .الم يعجبكم الفطور ؟

طوبار : بلى يا شيخ سليمان لقد اكلنا فاكثرنا .

الجوسقى : لعل الانباء السيئة صدت نفوسكم عن الطعام .

اباظة : بل فتحت نفوسنا له .

طوبار : اجل كانما نخشى الا نذوقه بعد اليوم .

(يظهر احد العميان من ناحية اليسار)

الجوسقى : اهلا حافظ .. انا هنا يا حافظ .

حافظ : مولانا الشيخ .. جئتك بآخر خبر .

الجوسقى : خير .

حافظ : الفرنسيس تحركوا عشية امس من وردان يقصدون ام دينار .

الجوسقى : ام دينار . لا حول ولا قوة الا بالله . مرحلة واحدة ويبلغون القاهرة .

من شبراخيت الى ام دينار ، لم يعترض سبيلهم احد من هؤلاء المماليك . خذلان واى خذلان . هل افطرت ؟ .

حافظ : لا يا مولانا الشيخ .

الجوسقى : ادخل فافطر مع اخوانك .

(يخرج حافظ من الباب الثالث)

الجوسقى : يا عبد القوى .

صوت : نعم (يظهر عبد القوى وهو احد العميان) .

الجوسقى : انطلق انت وفرقتك فاشيعوا هذا الخبر فى الناس .

عبد القوى : حالا يا مولانا الشيخ . (يخرج) .

العديسى : الا تخشى على الناس ان يذعروا يا شيخ سليمان ؟ .

الجوسقى : فليذعروا خيرا لهم من الغفلة . دعهم يعلموا ان العدو على الابواب . وما زال امراؤهم المماليك مشغولين بتهريب كنوزهم واخفائها منذ فروا من معركة شبراخيت .

طوبار : اليوم آمنا جميعا بصوابرايك يا شيخ سليمان . ليس لنا ان نتكل على المماليك فى الدفاع عن ارضنا وديننا وشرفنا .

(كان الشواربى طوال هذا المشهد يهم ان يتكلم فيسبقه غيره فيسكت) .

ابن شعير : يجب ان يكون لنا جيش من نفس شعبنا .. من هؤلاء الفلاحين .

اباظة : لقد كنا فى شك من ذلك حتى جاءت هذه الغزوة الفرنسية .

العديسى : والى ان يوجد ذلك الجيش من الشعب . ما واجبنا اليوم ؟ .

الجوسقى : ان نتحصن فى بيوتنا ونتاهب .

العديسى : لقتال الغزاة ؟ .

الجوسقى : اجل .. بعد ان يقضى على سلطان المماليك .

العديسى : ولم لا نقاتلهم اليوم مع المماليك ؟ .

الجوسقى : ان نحن فعلنا ذلك بقينا على الحال الذى نحن عليه منذ قرون . امة ضعيفة تشترى جيشها من اسواق الرقيق .

العديسي : وهل امتناعنا على القتال مع المماليك يخلصنا اليوم من هذه المعرة ؟ .

الجوسقي : لا . ولكن هذه بداية الطريق .

طوبار : ونحن المقيمين فى الأقاليم ما واجبنا يا شيخ سليمان ؟

الجوسقي : مثل أهل العاصمة . التسلح والتأهب .

طوبار : ان كثيرا من أهل اقليمنا يريدون المجيء لقتال الفرنسيس .

اباظة : ومن أهل اقليمنا أيضا .

ابن شعير : ومن أهل اقليمنا كذلك .

الجوسقي : ارجعوا اليهم وقولوا لهم يتسلحوا فى ديارهم ويتاهبوا .

العديسي : أليس هذا ما ينادى به زعيمهم بونابرته اذ أوصانا بالهدوء والسكينة لأنه ـ كما يزعم ـ ما جاء الا لقتال المماليك واخراجهم من البلاد ؟

الجوسقي : يا على يا ابن محللة دمنة الا تذكر ان هذه خطتنا نحو المماليك من قبل أن نسمع باسم هذا البونابرتة ؟

العديسي : ولكن مجيء هؤلاء الغزاة جعلنا فى وضع جديد .

الجوسقي : هذا الوضع الجديد لا يغير من موقفنا شيئا بل لعله ينبهنا الى وجوب التعجيل بالعمل على تنفيذ الخطة .

العديسي : لكن البلاد بلادنا قبل أن تكون بلاد المماليك .

الجوسقي : بل صارت فى الحقيقة بلادهم هم منذ اتكلنا عليهم فى الدفاع وتخلينا لهم عن شرف الجندية .

العديسي : فلنشاركهم اليوم فى هذا الشرف اذ أرادوا منا ذلك .

الجوسقي : هيهات . . لو كانوا يريدون ذلك حقا لوزعوا علينا السلاح ودربونا على استعماله .

العديسي : ربما لا يجدون عندهم من السلاح ما يكفى .

الجوسقي : فى مخازن مراد وحدها ما يكفى ويزيد لو كان يريد .

العديسي : فما بال السيد عمر مكرم يدعو الناس الى القتال ؟

الجوسقي : السيد عمر لا يدرك ما ندرك .

العديسي : حاولت أن تقنعه برأيك ؟

الجوسقي : كثيرا فلم يقتنع .

العديسي : اذن فنحن وحدنا على هذا الرأى لا يشاركنا فيه أحد .

الجوسقي : اسمع ياعديسى : ان كنت غير مقتنع برأينا فاتركنا وانضم الى من تشاء . . الى السيد عمر مكرم او الى غيره .

العديسي : اغضبت يا شيخ سليمان ؟

الجوسقي : معلوم . . هذه أمور ناقشناها طويلا من قبل وانتهينا فيها الى رأى أتعود اليوم لتناقشها من جديد ؟

طوبار : يا عديسى لا تضيع وقتنا فى جدالك الفارغ . يا شيخ سليمان نحن على رأيك فوجهنا حيث تريد .

الجوسقي : ليرجع كل واحد منكم الى بلاده وليدع الناس الى التسلح والتحصن والتأهب .

طوبار : وتكون على صلة بنا ؟

الجوسقى : لن ينقطع رجائى عنكم .. سيزودونكم بالأخبار وينقلون اليكم ما يجب عمله .

الجميع : اتفقنا .

الجوسقى : وانت يا عديسى معهم ؟

العديسى : يا شيخ سليمان انما اردت ان يطمئن قلبى لاغير .

الجوسقى : واطمأن الآن ؟

العديسى : نعم .

الجوسقى : الحمد لله .

(يهمون بالخروج)

(يدخل أحد العميان)

على : مولانا الشيخ .

الجوسقى : اهلا على .. عدت يا على من الاسكندرية ؟

على : ومعى رسالة يا مولانا الشيخ من السيد محمد كريم .

الجوسقى : جئت فى الوقت المناسب .. هاتها .. (يتناول الرسالة من على) .

الجميع : ما زلت تكاتبه بعد ما باع نفسه للفرنسيس ؟

الجوسقى : لا تعجلوا عليه يا قوم فقد كان من قبل يصانع المماليك ايضا لمصلحتنا . اسمعوا ما يقول فى كتابه : الى أخى فى الله الشيخ ابى داود . السلام عليكم ورحمة الله وبعد يعز على الا اتمكن هذه المرة من حضور مجلس الاخوة عندكم كالعـــادة والسبب معروف لديكم وقد يكون محل مؤاخذة ولكن قل لهم انى باق على العهد وسأتمكن وانا فى منصبى هذا من اقلاق راحة الغزاة بكل سبيل .

والخطة التى رسمتموها لأهل القاهرة حكيمة ولكنا فى الاسكندرية لا نتقيد بها لان المماليك لم يعد لهم فيها اثر . والسلام المخلص

(محمد كريم)

(يمزق الرسالة)

طوبار : تخشى ان تقع فى يد احد ؟

الجوسقى : فى أيدى الفرنسيس فيعدموه .

(يدخل أحد العميان)

عبد القادر : مولانا الشيخ .

الجوسقى : ما عندك يا عبد القادر .

عبد القادر : المسيو روستى والقاضى ابراهيم أدهم يستأذنان .

الجوسقى : ائذن لهما (يلحظ ارتباك الجماعة) لا تخافوا . انهما صديقان امينان انتظروا حتى أعرفكم بهما .

(يدخل روستى والقاضى)

الجوسقى : اهلا وسهلا . (لزعماء الاقاليم) القاضى ابراهيم ادهم افندى . المسيو روستى قنصل النمسا .

الزعماء : تشرفنا .

الجوسقى : (للاثنين القادمين) اصدقائى زعماء الأقاليم . حسن طوبار من المنزلة . ابن شعير من كفر عشما . على العديسى من محلة دمنا . عبد الرحمن أباظة من الشرقية . سليمان الشواربى من القليوبية .

الاثنان : تشرفنا .

الزعماء : اسمحوا لنا .

الجوسقى : مع السلامة . (يخرجون) تفضلا .. (يجلس الثلاثة) .

روستى : كنت اذن فى برلمان يا شيخ سليمان . ؟

الجوسقى : برلمان ؟

روستى : مجلس شورى انت رئيسه وهؤلاء اعضاؤه من كل اقليم .

الجوسقى : تتندر يا مسيو روستى ؟

روستى : أبدا .. انا اقول الحق .

الجوسقى : والمماليك موجودون ؟ والوالى التركى موجود ؟

القاضى : الوالى التركى لا يمنع ذلك . عندنا فى الآستانة مجلس المبعوثان .

الجوسقى : يا مولانا القاضى انكم تجيزون فى الآستانة ما لا تجيزونه فى القاهرة .

القاضى : اؤكد لك يا شيخ سليمان . اذا استطعتم أن تقيموه فلن نمنعكم ابدا .

روستى : اذا استطعتم أن تقيموه !

الجوسقى : اذا استطعنا أن نقيمه فلن تقدروا انتم على منعنا .

القاضى : بلى .. نقدر لو اردنا .

الجوسقى : دعنا أولا ننشىء جيشنا يا مولانا القاضى .

روستى : أجل هذا هو الأهم .

القاضى : هيه . لكى تطردونا من بلادكم .

الجوسقى : كلا .. سنبقى منصب القاضى كما هو اكراما لك.

القاضى : اشكركم .. ومنصب الوالى ؟

الجوسقى : سنبقيه ايضا ما دام يعمل لتوثيق الصلات بيننا وبين الآستانة .

روستى : سيكون حينئذ مثل منصبى تماما .

القاضى : انت يا مسيو روستم قنصل .

روستى : نعم واى باس فى ذلك ؟

القاضى : الوالى أعظم من القنصل .

الجوسقى : قنصل مثل المسيو روستى . انفع لبلده من وال مثل بكير باشا .

القاضى : هذا حق . هذا حق (يتلفت حوله كأنما يخشى ان يسمعه بكير باشا) .

روستى : مالك تتلفت يا مولانا القاضى ؟

الجوسقى : لا تخف . بكير باشا لا يجيء عندى !

(يضحك الثلاثة)

القاضى : نحن نضحك هنا والدنيا على كف عفريت .

روستى : أجل كيف انت يا شيخ سليمان اليوم ؟

الجوسقى : قل لى كيف انت يا مسيو روستى ؟

روستى : انى اشعر كأنى فى تياترو وكأنى اشاهد رواية هزلية .

القاضى : رواية هزلية ؟

روستى : مثل القرة قوز عندكم .

القاضى : لكن القرة قوز مفهوم وهذا الذى يجرى فى البلد غير مفهوم .

الجوسقى : كيف يا مولانا القاضى ؟ ماذا تعنى ؟

القاضى : الفرنسيس قريب من العاصمة وامراء الجيش

لم يخرجوا للقائهم بعد . والجيش سبقهم الى انبابة .

الجوسقى : يا مولانا القاضى هذا امر مفهوم .

القاضى : كيف يا شيخ جوسقى . ؟

الجوسقى : امراء الجيش يخافون على اموالهم وكنوزهم ان تقع فى ايدى الغزاة .

القاضى : فليخرجوا لقتال الغزاة .

الجوسقى : قبل أن يفرغوا من تهريب اموالهم واخفائها ؟

القاضى : نعم والا سقطت هذه الأموال فى ايدى الغزاة . يجب أن يدرك الجيش هذه الحقيقة .

الجوسقى : هذا لو كان هذا الجيش من الشعب .

القاضى : من الشعب . من الشعب . انظن فى الامكان أن ينشأ جيش من هذا الشعب ؟

الجوسقى : ماذا يمنع يا مولانا القاضى ؟

القاضى : شعب غير محارب .

الجوسقى : من طينة اخرى غير طينة البشر ؟

القاضى : لم يتعود القتال .

روستى : فى امكانه أن يتعود .

القاضى : لا يريد أن يحارب بنفسه .

الجوسقى : هذا ما تقولونه عنا انتم والمماليك .

القاضى : كلا لاتخلطنا بالمماليك . نحن شىء والمماليك شىء .

الجوسقى : لكن سوء الرأى فينا يجمعكم .

القاضى : كلا لا يجمعنا بهم شىء .

الجوسقى : وهذا الرأى السيىء فينا ؟

القاضى : هذا ليس من عندنا . هذا ما ينطق به الواقع .

الجوسقى : هذا واقع فرضتموه علينا انتم والمماليك .

القاضى : بل كان موجودا فى بلادكم من قبل أن يفتحها سلطاننا سليم الأول فقد انتزعها من ايدى المماليك .

الجوسقى : ليواصل بعدهم فرض هذا الواقع .

القاضى : لو كان ذلك لا يرضيكم لثرتم عليه .

الجوسقى : صدقت . هذه كلمة حق . لقد طال علينا الأمد فخيل الينا ان السلاح لا ينبغى أن يحمله الا مملوك أو عثمانى .

القاضى : الم اقل لك انكم شعب غير محارب ؟

الجوسقى : اما هذا فغير صحيح والواقع يكذبه .

القاضى : اى واقع ؟

الجوسقى : الم تر كيف اشترك فلاحونا وعربانا فى قتال الفرنسيين بشبراخيت ؟

القاضى : بالعصى والنبابيت ؟

الجوسقى : اجل بالعصى والنبابيت والفئوس والشماريخ . واستمروا يقاتلون حتى بعد ما انهزم مراد بك ومماليك مراد بك .

روستى : اجل هذا حق .. استمروا فى الميدان حتى حصدتهم مدافع الفرنسيين حصدا .

الجوسقى : افلا يستطيع من يواجه الموت بالعصى والنبابيت أن يواجه الموت بالبنادق والمدافع ؟

روستى : الواقع ان الفلاحين والعربان كانوا يناوشون الفرنسيين ويتخطفونهم على طول الطريق منذ خرجوا من الاسكندرية .

الجوسقى : افيصح يا مولانا القاضى أن يقال عن هذا الشعب انه شعب غير محارب ؟

القاضى : انا اعنى انه لا يجب الانخراط فى سلك الجندية.

الجوسقى : من طول ما حيل بينه وبينها حتى اعتقد انها وقف على المماليك والاتراك .

(تسمع طبول تقرع من بعيد وأصوات كاصوات الذكر من جماعات الطرق الصوفية)

روستى : ما هذا ؟

الجوسقى : لعله موكب السيد عمر مكرم (ينادى) يا شيخ عبد القادر .

عبد القادر : نعم . (يظهر)

الجوسقى : ما هذا الضجيج . ؟

حمزة : هذا موكب السيد عمر مكرم يطوف فى الشوارع بالبيرق النبوى الذى انزله امس من القلعة .

الجوسقى : اين يمر هذا الموكب الآن ؟

حمزة : فى شارع النحاسين .

الجوسقى : شكرا يا شيخ عبد القادر .

(ينسحب عبد القادر)

روستى : ماذا ترى فى هذا الموكب يا شيخ سليمان ؟

الجوسقى : وا اسفاه . يقاتلون بالبركة . بغير سلاح وبغير نظام وبغير قائد .

القاضى : والسيد عمر مكرم ؟

الجوسقى : اسمعت فى تاريخ الاسلام بقائد يقود جيشه بمسبحته الكهرمان ؟

روستى : حتى نبيكم محمد فيما قرات من تاريخه كان فارسا يتقدم الصفوف بسيفه ويعين المواقع ويرسم الخطط .

القاضى : صلى الله عليه وسلم .

الجوسقى : اجل لقد مسخنا يا مسيو روستى واصبحنا خلقا آخر .

روستى : فى امكانكم أن تعودوا كما كنتم .

الجوسقى : اذا عدنا الى الجندية وتولينا الدفاع بأنفسنا لا بالمماليك .

روستى : الا يوجد بين علمائكم وكبرائكم من يرى رأيك هذا يا شيخ سليمان ويفكر تفكيرك ؟

الجوسقى : لا يا مسيو روستى لا يوجد .

روستى : لماذا ؟ الا يقرؤون تاريخ نبيكم واسلافكم الاقدمين ؟

الجوسقى : هذا من اعجب العجيب . يتلون آيات القرآن ويقرؤون سيرة النبى واصحابه وتاريخ ابطال الاسلام وكانما طمست بصائرهم فلا يفقهون من ذلك شيئا .

روستى : لا تيئس يا شيخ سليمان . لابد أن يتحقق يوما ما تريد لأن ذلك فى مصلحة الجميع .. فى مصلحتكم انتم وفى مصلحتنا نحن الاجانب اذ يكفل لنا استقرار الاحوال وانتظام التجارة والتخلص من ظلم مراد وابراهيم .

الجوسقى : وفى مصلحة الباب العالى كذلك .

القاضى : اما هذه الاخيرة ففيها شك .

الجوسقى : كلا يا مولانا القاضى سنكون بلا شك اقدر على الوفاء بالتزاماتنا نحو الباب العالى من هؤلاء المماليك .

القاضى : اجل ستكون الصلات بين الباب العالى ومصر ابسط واخلص واقرب الى التفاهم والمودة اذا استتب الأمن فى مصر وساد فيها النظام والعدل بين الناس .

الجوسقى : الم تعدنى يا مولانا القاضى بأن تحاول اقناع بكير باشا بهذه الفكرة ؟

القاضى : بلى وقد حاولت ولكنى لم أنجح فى اقناعه .

الجوسقى : انك غير مقتنع بها انت نفسك .

القاضى : بل لانه ناشف الدماغ كما يقولون . أتدرى ماذا قال لى ؟ قال لى انه لا يستطيع ان يعتمد على جيش من العميان .

الجوسقى : انت اذن ما شرحت له الفكرة .

القاضى : شرحتها ووضحتها . قلت له ان هؤلاء المكفوفين سيكونون فقط النواة الاولى للجيش المنشود وربما يتالف قوامه من ابناء الفلاحين والعربان .

الجوسقى : جميل .. فماذا قال ؟

القاضى : قال انه لا يؤمن بنجاح جيش نواته الأولى من العميان .

الجوسقى : وسكت على ذلك ؟

القاضى : لا .. قلت له انك استطعت ان تجمع آلاف العميان وتنشىء منهم كتلة مترابطة متماسكة فى كيان مستقل اساسه فقدان البصر كتماسك

المماليك وترابطهم فى كيان مستقل اساسه الغربة وفقدان الاهل والعشيرة .

روستى : هذا مدهش يا سيد ادهم .

القاضى : الفضل فى ذلك للشيخ الجوسقى فهو الذى لقننى اياه ..

الجوسقى : انت والله أحسنت التلقى .. فماذا قال الوالى ؟

القاضى : قال ان هذا معناه دولة داخل الدولة وهو لا يستطيع ابدا ان يسمح بقيامها .

الجوسقى : قاتله الله . أيريد ان يحمى سلطان المماليك فى بلادنا حتى يبقى الى الابد ؟ أيريد ان يطبق السياسة التى رسمها سلطانكم سليم الاول حتى بعد ما تغيرت الاحوال وتبدلت الأوضاع وصار للمماليك السلطان المطلق واصبح واليكم العوبة فى أيديهم . ؟

القاضى : لهذا قلت لك آنفا انه ناشف الدماغ .

روستى : معذرة يا شيخ جوسقى ماذا تريد من الوالى ان يصنع ؟

الجوسقى : هو لا يقدر أن يصنع لنا شيئا . كل ما نريده منه هو ان يقنع اولى الامر فى الآستانة بان يولوا ثقتهم للشعب فلا يعترضون على قيام جيش من ابنائه ، لينهض بما لم ينهض به جيش المماليك من حماية البلاد وحماية الانفس وحماية الحقوق .

روستى : مع بقاء الولاء للباب العالى كما هو ؟

الجوسقى : نعم .

روستى : ما رايت أرعن من هذا الوالى . كيف يضيع على دولته فرصة ثمينة كهذه يرجى منها ان تعزز

مركزها وتصون سمعتها فى البلاد ؟ دولة داخل الدولة . أجل داخل دولة المماليك لا داخل الدولة العلية فماذا يضير الدولة العلية من ذلك ؟

القاضى : انا والله قلت هذا كله لبكير باشا .

الجوسقى : اتدرى يا مولانا القاضى ماذا يعلمنا هذا ؟

القاضى : هيه ..

الجوسقى : اننا لا خلاص لنا من المماليك الا بالخلاص من الأتراك .

القاضى : كلا لا تذهب بعيدا يا شيخ سليمان .

الجوسقى : انتم والمماليك شىء واحد .

القاضى : كلا لا تقل هذا .

الجوسقى : لا تستطيعون أن تثقوا بنا نحن أولاد العرب ـ ابدا .

القاضى : يا شيخ سليمان لا تدعنى اعتقد ان الذى يقال عنك صحيح .

الجوسقى : ما الذى يقال عنى ؟

القاضى : انك تسعى لتكون سلطانا على مصر .

الجوسقى : سلطانا ؟ وانا اعمى ؟

القاضى : هذا ما سمعت .

الجوسقى : هذا ما يشيعه المماليك عنى ليوغروا صدر الدولة على .

القاضى : بل سمعت اكثر من ذلك .

الجوسقى : انى سأجعل ابنى داود خليفتى فى الملك ؟

القاضى : نعم .

الجوسقى : هذا اكبر برهان على كذبهم . انك تعرف داود يا مولانا القاضى .

القاضى : نعم اعرفه .

الجوسقى : وانت كذلك يا مسيو روستى ؟

روستى : نعم . شاب مسكين .. ادراكه متخلف .

الجوسقى : بل لا عقل له ولا ادراك . لا يصلح حتى زوجا لامرأته . كل يوم تضربه امرأته ويضربها .

(يضحك الرجلان)

روستى : لماذا استعجلتم بزواجه .

الجوسقى : امه هى التى استعجلت . تريد ان تفرح به كما يقولون . أو من يدرى لعلها ترجو من ابنها أن يأتى لها بولى عهد جديد !

(يتضاحك الثلاثة)

القاضى : اندفاعك يا شيخ سليمان فى كثير من الأحيان هو الذى يثير مثل هذه الأقاويل عليك .

الجوسقى : ماذا أصنع ؟ ان غباوة واليكم هذا لتغيظ دولة داخل الدولة !

القاضى : دع عنك بكير باشا . اترك هذا الأمر لى . سوف اقنعهم انا بنفسى اذا عدت الى الآستانة .

الجوسقى : اذا عدت الى الآستانة فستنسى كل شىء .

القاضى : كلا لن انسى صديقى الشيخ سليمان الجوسقى وماله من افضال على .

الجوسقى : يا مولانا القاضى أسرع الناس الى نسيانى اكثرهم نصيبا من احسانى .

القاضى : كأنك لا تريد أن تسدى الينا معروفا بعد ؟

الجوسقى : عندك شىء تخاف عليه ؟

القاضى : كانك تقرأ ما فى نفسى . هذه حلى امرأتى من الذهب والالماس .

الجوسقى : هاتها فسأحفظها لك فى حرز حريز .

(يسلمه القاضى صندوقا صغيرا من الابنوس المطعم بالعاج)

الجوسقى : (مناديا) يا غانم .

صوت : نعم . (يدخل احد العميان)

الجوسقى : ادن منى (يدنو غانم منه) احفظ هذه الوديعة للقاضى ابراهيم ادهم فى بيتك انطلق الآن .

غانم : سمعا يا مولانا الشيخ .

الجوسقى : اخفها عن امرأتك واولادك . ذهب والماس .

غانم : اطمئن يا مولانا الشيخ . (يخرج منطلقا)

روستى : ليتنى جئت بودائعى ايضا اليك .

الجوسقى : جئنى بها يا مسيو روستى او ابعثها مع اى رسول .

روستى : سأرسلها اليك مع ابنى (ينهض وينهض القاضى)

الجوسقى : الا تبقيان قليلا بعد ؟

القاضى : الدنيا على كف عفريت . (يخرجان ويودعهما الجوسقى) .

(تدخل ناصحة)

ناصحة : ما هذا الذى تقوله لضيوفك ؟

الجوسقى : سمعت حديثنا ؟

ناصحة : سمعته . لماذا تعيب لهم داود ابنك ؟

الجوسقى : الم تسمعى التهمة ؟ لانفيها عن نفسى .

ناصحة : وتلصق به كل هذه العيوب ؟

الجوسقى : هذه بعض عيوبه يا ناصحة !

ناصحة : ما من احد الا وله عيوبه .

الجوسقى : مثل ابننا داود ؟

ناصحة : واسوأ من داود .

الجوسقى : جايز . لكن ما اظن اهله يرشحونه ليكون ولى عهد السلطنة فى مصر !

ناصحة : حينما يكبر قليلا سيصفو ذهنه ويتسع عقله ويكون أهلا لهذا المنصب .

الجوسقى : حينما يكبر .. لقد جاوز العشرين وما زال يغلط فى حروف الهجاء .

ناصحة : كلا يا سيدنا الشيخ . المعلم الجديد اتبع فى تعليمه طريقة جديدة فنجح .

الجوسقى : من الذى نجح ؟ المعلم ام داود ؟

ناصحة : المعلم .

الجوسقى : وما شأننا نحن بالمعلم ؟

ناصحة : داود ابنك صار يحفظ حروف الهجاء عن ظهر قلب . اتريد ان تمتحنه ؟

الجوسقى : لا داعى يا ناصحة . هل حفظ البخارى ؟

ناصحة : بل واجب عليك لتشجعه على المضى فى اجتهاده . (تناديه) يا داود . داود .

داود : (صوته من بعيد) نعم يا امه .

ناصحة : تعال .. اجب والدك .

داود : (صوته) انا مشغول يا امه .

ناصحة : ماذا تعمل ؟

داود : اركب على الحصان .

ناصحة : لا بأس .. تعال .

داود : (صوته) ادخل بحصانى ؟

ناصحة : نعم .

داود : (يسمع صوته مقبلا وهو يقلد حركة الحصان) ككك ككك ككك ككك .

(يدخل وفى يمناه مضرب من الخشب وفى يسراه قصبة من الذرة يجرها بين رجليه فيدور بها حول القاعة)

ناصحة : ارايت ؟ فارس من نعومة اظفاره ! سلطان عظيم !

الجوسقى : الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه .

ناصحة : بس يا داود . اربط الحصان وتعال .

داود : اربطه ؟ كيف ؟ والفرنسيس من ذا يقاتلهم ؟

ناصحة : سمعت ؟ مخلص لوطنه ! مجاهد ! (لداود) كلا يا داود الفرنسيس ما زالوا بعيدا عنا الآن .

(يسند داود القصبة بجانب الجدار كأنه يربط جواده ثم يتقدم نحو ابيه وأمه)

داود : نعم .

ناصحة : والدك فرح جدا لما علم انك صرت تحفظ الف باء عن ظهر قلب .

داود : تحب يا ابى اسمعك ؟

الجوسقى : نعم . هات يا بنى .

داود : ارز الف / بصل باء / ترمس تاء / توم ثاء / جوز جيم / حمام حاء / عى فكرة انا احب الحمام جدا . اكلينا الحمام اليوم يا امه .

ناصحة : طيب كمل اولا . حمام حاء / .

داود : حمام حاء / خروب خاء / انا عطشان يا امه . ساروح لبائع الخروب ، يتحرك ليخرج)

ناصحة : انتظر .

داود : ساعود اليكم فى الحال . ساترك لكم حصانى وسيفى .

العديسى : طيب يا داود رح لبائع الخروب وخذ حصانك وسيفك .

داود : اما تحب ان اسمعك الباقى يا ابه ؟

الجوسقى : لا داعى يا بنى . يكفى ما سمعت .

ناصحة : ابوك مبسوط منك يا داود .

داود : صحيح يا ابه . ؟

الجوسقى : صحيح .

ناصحة : اذن فاجتهد زيادة حتى تصير انسانا عظيما .. سلطان زمانك .

(ياخذ حصانه وسيفه فيخرج)

ناصحة : كيف رايت ؟ تحسن كثيرا اليس كذلك ؟

الجوسقى : يا ناصحة لا تتعلقى بالمحال . هذا الولد لا يصلح لشىء . هكذا ربنا اراد .

ناصحة : لا تيئس يا سيدنا الشيخ . ان لم ينفع داود ابن سليمان فسينفع سليمان بن داود !

الجوسقى : واين هو ؟

ناصحة : فى الطريق .

الجوسقى : هذه غاضبة عند اهلها منذ شهر .

ناصحة : انقطع عنها الدم هذا الشهر .

الجوسقى : من أين عرفت ؟
ناصحة : أمها بعثت لى أمس .
الجوسقى : لكنك لم تخبرينى .
ناصحة : كنت البارحة مع ضيوفك زعماء الأقاليم الى ما بعد منتصف الليل .
الجوسقى : وما يدريك ربما تجيء أنثى .
ناصحة : كلا انا واثقة انه ذكر ! سليمان بن داود !
الجوسقى : ثم ما يدريك لعله يطلع مثل أبيه .
ناصحة : كلا .. مستحيل .. سيطلع مثلك انت لا شك فى ذلك .
الجوسقى : لا تجزمى على الغيب . فيجزم الغيب عليك .
ناصحة : يا سيدنا الشيخ الخلفة مثل الرؤيا تفسر بعكسها. انت راجح العقل فطلع ابنك احمق وهو احمق فسيطلع ابنه راجح العقل .
الجوسقى : ذهبنا من هذه الخرافة .
ناصحة : هذه ليست خرافة . هذه قدرة الله وحكمته !
الجوسقى : ناصحة . اسمعى يا ناصحة .
ناصحة : نعم .
الجوسقى : اصبحت أخاف على عقلك الآن .

(يدخل عبد القادر)

عبد القادر : مولانا الشيخ .
الجوسقى : ماذا عندك ؟
عبد القادر : بالباب الشيخ الشرقاوى والشيخ السادات والشيخ المهدى .

الجوسقى : قل لهم يتفضلوا .

(تنسحب ناصحة)

(يدخل الشيوخ الثلاثة)

الثلاثة : السلام عليكم .
الجوسقى : وعليكم السلام ورحمة الله مرحبا بكم . اجلسوا (يجلسون) هل من حاجة فاقضيها لكم ؟
الشرقاوى : انت دائما صاحب الفضل يا شيخ سليمان .
الجوسقى : تريدون أن اقرضكم ؟
الشرقاوى : فى مثل هذا الوقت العصيب يا شيخ سليمان ؟
الجوسقى : وهل يحلو العون الا فى الوقت العصيب ؟
المهدى : الناس تخاف اليوم على ما فى يدها من المال يا شيخ سليمان فكيف تستقرض ؟
الجوسقى : الحمد لله . اذن فما أنتم بحاجة الى الاستقراض.
المهدى : نحن على استعداد لأن نقرض .
الجوسقى : جئتم اذن لتقرضونى ؟
السادات : كلا كلا . انت فى غنى عن ذلك يا شيخ سليمان . وانما جئنا لنحفظ عندك ودائعنا ريثما تنقشع هذه الغمة .
الجوسقى : اموال سائلة ام جواهر ونفائس ؟
السادات : اموال سائلة وجواهر ونفائس .
الجوسقى : وجئتم بها معكم ؟
الشرقاوى : جئنا ببعضها وسنجيء بالباقى .
الجوسقى : الم يخطر ببال احد منكم ان يدفع لى اولا ما اقترضه منى من قديم ؟
المهدى : بلى يا شيخ سليمان كنا سنفعل ذلك بغير شك .

السادات : خذ من كل واحد منا مالك عليه واحفظ الباقى وديعة عندك .

الجوسقى : هاتوا اذن حقى أولا .

السادات : كيس واحد يا شيخ سليمان ام كيسان ؟

الجوسقى : بل كيسان يا ابا الأنوار .

السادات : ذاكرتك اجود من ذاكرتى . خذ (يقدم له كيسين)

الشرقاوى : وانا ايضا على كيسان .

الجوسقى : بل ثلاثة يا شيخ الاسلام .

الشرقاوى : انا واثق بامانتك ولو قلت لى مائة . خذ . (يقدم له ثلاثة اكياس)

الجوسقى : وانت يا شيخ مهدى ؟

المهدى : انا لا انسى ولا اغالط . كيس واحد . خذ (يقدم له كيسا)

الجوسقى : (يتحسس الاكياس الستة) حمزة . ادخل بهذه الاكياس الى ام داود .

حمزة : (يظهر) سمعا يا مولانا الشيخ (يحمل الاكياس ويخرج بها من الباب الثالث)

الجوسقى : ايها الشيوخ خذوا ودائعكم فاحفظوها عند غيرى .

الثلاثة : كلا نحن لا نامن عليها غيرك .

الجوسقى : لو كنتم تأمنونني حقا لجئتم فرادى الى .

الشرقاوى : هل ساءك اننا جئنا مجتمعين ؟

السادات : اى باس فى ذلك يا شيخ سليمان ؟

المهدى : لو كنا نعلم لجئنا فرادى .

الجوسقى : يا شيوخ الوقت ما جئتم مجتمعين الا ليشهد بعضكم لبعض على خشية أن اجحد هذه الودائع .

الشرقاوى : معاذ الله يا شيخ سليمان .

السادات : سامحك الله فيما اسات بنا الظن .

الجوسقى : ايها المشايخ .. ليس من العدل ان احفظ ودائعكم . شانكم كشان غيركم من الامة ينالكم ما ينالهم .

الشرقاوى : لكن عندنا اموال كبيرة لا يحل لنا ان نتركها تقع فى ايدى هؤلاء الكفرة .

المهدى : فيتقووا بها على المسلمين .

الجوسقى : ما شاء الله . ما شاء الله . وهل يليق بشيوخ العلم ان يكون همهم جمع المال والتكالب عليه ؟

المهدى : وانت يا شيخ سليمان الم تكن من اكثر الناس جمعا للمال من حله ومن غير حله ؟

الجوسقى : يا شيخ مهدى ما بلغ بى الجشع ان اضم الى ثروتى تركات الموتى بالطاعون كما فعلت انت . (يسكت الثلاثة واجمين) يا شيوخ الوقت لماذا سكتم ؟

الشرقاوى : ان كنت لا تريد ان تجيبنا الى ما طلبنا فامسك لسانك عنا .

الجوسقى : يا شيخ الوقت . ان الشاعر يقول:

ومن دعا الناس الى ذمه
ذموه بالحق وبالباطل .

(تسمع طبول موكب السيد عمر مكرم قادمة من بعيد)

الجوسقى : أتسمعون يا شيوخ الوقت . هذا موكب السيد عمر مكرم .

السادات : رياء وسمعة .

الشرقاوى : يلعب بعقول العامة .

المهدى : ويدفعهم الى التهلكة .

الجوسقى : خير منكم على كل حال . أين من يخشى على امواله من الفرنسيس ممن يدعو الناس الى قتال الفرنسيس ؟

السادات : علموا بنا ننصرف . لا ينبغى لنا ان نرد عليه .

المهدى : ومن ذا يعض الكلب ان عضه الكلب ؟

الجوسقى : أشكركم يا شيوخ الوقت اذ قضيتم لى ذلك الدين القديم .

(يخرج المشايخ الثلاثة)

(يقترب الموكب وتعلو الطبول والأصوات ثم تنقطع فجأة)

عبد القادر : (يدخل) مولانا الشيخ . السيد عمر مكرم يريد أن يلقاك .

الجوسقى : (ينهض من مقعده) قل له يتفضل . اهلا وسهلا ..

(يدخل السيد عمر مكرم ومعه اثنان من خواصه)

عمر مكرم : السلام عليكم ورحمة الله .

الجوسقى : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . مرحبا بنقيب الأشراف . اجلس .

عمر مكرم : ليس هذا وقت الجلوس يا شيخ سليمان . انما عرجت بالموكب عليك لتساعد المجاهدين بما تسمح به نفسك .

الجوسقى : معذرة ايها السيد النقيب انك تعرف رأيى فى هذا الأمر .

عمر مكرم : ما جئنا نطلب رأيك يا شيخ سليمان بل مالك .

الجوسقى : انا لا انفق مالى فيما يخالف عقيدتى ورأيى .

عمر مكرم : لا تؤمن بالجهاد فى سبيل الله يا شيخ سليمان ؟

الجوسقى : ما هكذا يكون الجهاد يا سيدى النقيب .

عمر مكرم : فكيف يكون ؟

الجوسقى : دعهم يرابطوا فى بيوتهم . كل فى بيته وبين اهله يستعد بما فى يده من مدى وسكاكين وحجارة وطوب وماء مغلى وزيت مغلى وكل ما يقتل أو يجرح واتركوا المماليك هم الذين يقاتلون اليوم وحدهم فهذا واجبهم وهذه وظيفتهم حتى تقع التبعة عليهم وحدهم اذا انهزموا ولا يلقوها على غيرهم من هؤلاء الذين لا سلاح لهم ولا ظهر .

عمر مكرم : كلا لقد صار الجهاد اليوم فرضا على كل قادر من الأمة .

الجوسقى : فالذين يرابطون فى بيوتهم هم المجاهدون .

عمر مكرم : بل المجاهدون هم الذين يخرجون من بيوتهم لقتال العدو .

الجوسقى : انك لا تعرف شيئا يا سيد عمر . ان هؤلاء الفرنسيس قوم مدربون على القتال ولهم طرق عجيبة تدربوا عليها وتعلموها ولهم مدافع

يحملونها على الخيول فهى تتحرك معهم اينما تحركوا . اتقاتلون حملة المدافع وركاب الخيل بالعصى والنبابيت .؟

عمر مكرم : اناشدك الله يا شيخ سليمان الا تخذل الناس عن الجهاد .

الجوسقى : يا سيدى النقيب ان أبيتم الا الاشتراك فى القتال اليوم فاختاروا من بينكم الشباب الاقوياء الاشداء فوزعوهم على مداخل المدينة وابواب الحارات ليرابطوا فيها فتطمئن نفوس الاهالى ولا يطير بها الفزع ولا الوهل . أما ان تجمعوا الناس على الطبول والأذكار ليبيتوا ليلهم فى شوارع بولاق تاركين نساءهم واولادهم فى فزع وجزع لا يدرين ماذا اصاب رجالهن ولا ماذا سيصيبهن فهذا هو الخذلان بعينه وسيفضى بالأمة الى كارثة محققة . فانظر يا سيد عمر على من تقع تبعتها !

عمر مكرم : اسكت . ما انت الا أعمى وسط عميان فما انت والحرب والجهاد ؟

الجوسقى : انت الأعمى يا سيد عمر . لانك لا ترى ما هو ابعد من أنفك .

عمر مكرم : انما بخلت بمالك فقلت ما قلت لتتنصل من واجب البذل فى سبيل الله .

الجوسقى : كم كنت تطمع ان تأخذ منى يا سيد عمر ؟

عمر مكرم : انت غنى كبير .

الجوسقى : ثلاثة اكياس من الذهب ؟

عمر مكرم : مقبول منك .

الجوسقى : يا حمزة احضر لهم الاكياس الستة .

(يحضر حمزة الاكياس الستة فى اسرع من لمح البصر)

عمر مكرم : (فى خجل) لقد ظلمتك يا شيخ سليمان فسامحنى .

الجوسقى : لا تثريب عليك . يغفر الله لك .

(يخرج عمر مكرم وصاحباه)

(تقرع الطبول من جديد ويبتعد الموكب شيئا فشيئا)

ناصحة : (تعود) تعطيه الستة الاكياس فى شىء ليس من رأيك ؟

الجوسقى : لأكسر بها عينه لعلنا نحتاج اليه ذات يوم .

ناصحة : يا سيدنا الشيخ انك ستحتاج الى هذا المال فيما بعد لتنفقه فى سبيل غايتك .

الجوسقى : انما قيمة المال يا ناصحة حيث يكون صاحبه قادرا على الانتفاع به .

(يسمع وقع حوافر خيل مقبلة)

ناصحة : اسمع ! خيل مقبلة !

عبد القادر : (يظهر) ابراهيم بك يا مولانا الشيخ قادم فى الزقاق .

الجوسقى : ان كان يريد أن يدخل عندنا فدعه يتفضل .

ناصحة : ماذا يريد ؟ (تنسحب داخل البيت)

(يدخل ابراهيم بك ومعه ثلاثة من أتباعه المماليك)

ابراهيم : السلام عليك يا شيخ جوسقى .

الجوسقى : وعليكم السلام ورحمة الله . مرحبا بك يا ابراهيم بك . شرفت بيتنا .

ابراهيم : لا شك انك تعرف آخر الأخبار يا شيخ جوسقى من اعوانك .

الجوسقى : نعم .

ابراهيم : سترد الغزاة منهزمين ان شاء الله غير أن الاحتياط واجب .

الجوسقى : صدقت يا ابراهيم بك . الاحتياط واجب .

ابراهيم : عندى بضعة صناديق ـ صناديق صغيرة لا يصعب حملها ولا حفظها ـ تحفظها لى حتى تنتهى هذه المعركة .

الجوسقى : اين احفظها يا ابراهيم بك ؟ فى بيتى هنا ؟

ابراهيم : بيتك هذا عرضة للتفتيش ولكن وزعها على اصحابك ليحفظوها فى بيوتهم .

الجوسقى : يا ابراهيم بك لا استطيع ان اتحمل التبعة .

ابراهيم : لا تخف . ان ضاعت فلن أؤاخذك .

الجوسقى : اليوم تقول لى هذا القول ولكن غدا اذا ضاعت فستتهمنى بأننى خنت الأمانة .

ابراهيم : كلا يا شيخ سليمان انت عندى محل الثقة .

الجوسقى : هل تريد ان تكرهنى على ذلك يا ابراهيم بك .

ابراهيم : كلا يا شيخ جوسقى . ومن ذا يستطيع ان يكرهك ؟

الجوسقى : اذن فاقبل نصيحتى . لا تهتم بغير العمل على كسر الفرنسيس وطردهم من البلاد .. لا بمال ولا بكنز ولا باى شىء آخر .

ابراهيم : كل ما أخشاه ان تقع هذه النفائس فى ايديهم فيتقووا بها علينا .

الجوسقى : يا ابراهيم بك اذا دخل الفرنسيس العاصمة فسيستولون على كل شىء فيها وان لم يدخلوا فلن يستولوا على صناديقك .

ابراهيم : يا شيخ سليمان من الجائز ان يدخلوا العاصمة ولكنا حتما سنخرجهم منها وحينئذ تسلم لنا النفائس التى خبأناها عنهم .

الجوسقى : ابراهيم بك هل تريد ان اصارحك ؟

ابراهيم : لا بأس .

الجوسقى : ليس من العدل ان تفقد الأمة كنوزها واموالها من جراء تقصيركم فى الدفاع عنها ثم اقوم انا بحفظ كنوزهم واموالكم انتم .

ابراهيم : يا شيخ سليمان اجعل لنفسك نصيبا فيها مثل قيمتها .

الجوسقى : كلا يا ابراهيم بك .

ابراهيم : خذ الخمس .

الجوسقى : ولا النصف .

ابراهيم : فكم تريد ؟

الجوسقى : لا اريد منك شيئا .

ابراهيم : اليس هذا خيرا لك من الاتاوات التى تفرضها على الشحاذين العميان ؟

الجوسقى : يا ابراهيم بك انا لا أفرض اتاوات على احد .

ابراهيم : فما هذه الأموال التى تأخذها منهم مما يجمعونه من الشحاذة بالليل والنهار ؟

الجوسقى : انا يا ابراهيم بك شيخ المكفوفين فعلى ان احفظ لهم اموالهم وارعى شئونهم . ولست يا ابراهيم بك بمكفوف فاحفظ لك مالك .

ابراهيم : بل بنيت من اموالهم العمارات والوكايل وانشات المطاحن والمعاجن ، والمخابز .

الجوسقى : اجل . وكلها ملك لهم لا ملكى انا .

ابراهيم : لكنك تتصرف فيها تصرف المالك .

الجوسقى : لانى امين عليها وهم يثقون بأمانتى .

ابراهيم : ومن مات منهم ورثته وضممت امواله اليك .

الجوسقى : لانى انفق على العجزة منهم واليتامى والارامل .

(يسمع وقع حوافر خيل مقبلة من بعيد)

ابراهيم : ما هذا ؟

الجوسقى : يا ابراهيم بك .. الناس تذهب للقاء العدو المغير وانت قاعد هنا تناقشنى !

عبد القادر : (يدخل) مراد بك يا مولانا الشيخ قادم الينا .

ابراهيم : مراد بك ؟ ماذا جاء به ؟

الجوسقى : لعله فرغ من قتال العدو وجاء ليبشرك بالنصر !!

ابراهيم : لا تخبره بشيء مما دار بيننا .

الجوسقى : اطمئن يا ابراهيم بك .

(يدخل مراد ومعه خمسة من اتباعه المماليك)

مراد : انت هنا يا ابراهيم بك (يتقدم نحوه مادا اليه يده)

ابراهيم : فرصة سعيدة يا مراد بك . (يمد يده فيقبلها مراد)

مراد : (يستعيد كبرياءه وعنجهيته كانه يحتج على اضطراره لتقبيل يد ابراهيم جريا على العادة المتبعة) هذه عادتك . لا اذهب الى مكان حتى أجدك قد سبقتنى اليه . حتى عند شيخ العميان!

ابراهيم : مجرد صدفة .

مراد : صدفة ؟ أم تتجسس على وعلى حركاتى ؟

ابراهيم : فيم تسيء الظن يا اخى ؟ لم لا تقول انى علمت بأنك قادم هنا عند صديقنا الشيخ الجوسقى فحرصت على لقائك ؟

مراد : لقاء الوداع ؟

ابراهيم : نعم فربما لا تراني بعد اليوم .

مراد : انت فى الجانب الشرقى فلا خوف عليك .

ابراهيم : ما يدريك لعل هجمتهم الكبرى ستكون من الجانب الشرقى .

مراد : كلا بل من الجانب الغربى . انهم يسيرون فى البر الغربى .

ابراهيم : انا على استعداد أن اتبادل معك المواقع ان شئت .

مراد : الآن بعد ما سيرت مماليكى ورجالى الى انبابة ؟

ابراهيم : ما ايسر أن تعديهم الى البر الثانى .

مراد : لعلك تريد أن تظفر بمجد الانتصار هه ؟

ابراهيم : مجد الانتصار تركته لك فى شبراخيت . ولكنى اشتهى ان آكل الفستق !

مراد : الفستق ؟

ابراهيم : كنت تقول عن الفرنسيس انهم مثل الفستق .

مـراد : (غاضبا) لو لقيتهم انت ورجالك فى شبراخيت لأكلوكم مثل الترمس لا مثل الفستق .

ابراهيم : لحمد لله اذ كفيتمونا هذه المئونة . انا ورجالى مثل الترمس وانت ورجالك مثل ماذا ؟

مـراد : مثل الاسود !

ابراهيم : (يقهقه ضاحكا فيقهقه معه رجاله الثلاثة) مثل الأسود .

مـراد : (يستشيط غضبا) مم تضحكون أيها الأرانب ؟

ابراهيم : (يزداد ضحكا هو ورجاله) كنا ترمسا فصرنا الآن أرانب !

(يسل مراد ورجاله سيوفهم غضبا)

ابراهيم : (يسل هو ورجاله سيوفهم) الأرانب لا تقدر على الأسود !

الجوسقى : (صائحا باعلى صوته) ما هذا الذى تصنعون ؟ ان اردتم أن تتبارزوا فتبارزوا خـارج بيتى . ويلكم . تتركون العدو على الأبواب وتتناقرون هنا تناقر الديكة ؟

مـراد : ألم تر كيف سخر منى ؟

ابراهيم : هو الذى بدأ .

مـراد : اشهد يا شيخ سليمان أينا المتعدى انا أم هو ؟

الجوسقى : كل منكما تعدى على أخيـه ولكنك زدت عليه يا مراد بك اذ تعديت على .

مـراد : عليك انت ؟

الجوسقى : نعم دخلت فلم تكلف خاطرك حتى السلام على صاحب البيت .

مـراد : سامحنى يا شيخ سليمان . رأيت هذا عنـدك فانسانى الواجب .

ابراهيم : اعذره يا شـيخ سليمان فقد كان يحسبنى بونابرته !

مـراد : (يعرض عنه) وانسانى كذلك ما جئت من أجله .

الجوسقى : خيرا يا مراد بك .

مـراد : تقدموا له ما معكم .

(يقدم رجاله صناديق موضوعة فى مكاتل فيضعونها امام الجوسقى)

الجوسقى : ما هذه يا مراد بك ؟

ابراهيم : هدايا لك يا شيخ سليمان !

مـراد : (يعرض عنه فى غيظ مكظوم) ودائع تحفظها عندك حتى تنتهى هذه المناوشات .

الجوسقى : المناوشات ؟ (يضحك ابراهيم)

مـراد : هذه المعركة .

الجوسقى : كلا يا مراد بك احفظها عند غيرى .

مـراد : انا لا آمن احدا غيرك .

الجوسقى : اسأل ابراهيم بك فقد طلب منى مثل هـذا فرفضت .

ابراهيم : نعم . حاولت معه بكل سبيل فلم يقبل .

مـراد : (للجوسقى) اين هى الودائع التى رفضتها له ؟

الجوسقى : اسأله هو .

ابراهيم : تركتها فى بيتى حتى استأذن الشيخ أولا .

الجوسقى : لو فعلت مثله يا مراد بك لكان أفضل .

مـراد : هيه اتظننى غبيا لا أفهم ؟ لا شك انه جاءك بها

فوزعتها انت على اصحابك العميان ليخبئوها في بيوتهم .

ابراهيم : انت ذكي جدا يا مراد بك انت المعى !

مراد : اسكت انت لا كلام لى معك .

ابراهيم : انكذب الشيخ سليمان فى وجهه ثم تستأمنه على كنوزك ؟

مراد : هذه مكيدة منك . انت اوعزت اليه بذلك .

الجوسقى : أنا يا مراد بك لا اقبل ان يوعز الى احـــد بما لا أريد .

ابراهيم : ماذا تظن الشيخ الجوسقى ؟ مملوكا من المماليك ؟ الا تعلم ان له من الأتباع أضعاف عدد اتباعك ؟

مراد : اخرج انت من هنا .. لا شأن لك بما بيني وبينه . اخرج الى عرضيك الذى أقمته فى بولاق لتضحك به على الناس .

ابراهيم : (بكل هدوء) كما تفعل انت بالمعسكر الذى اقمته فى انبابة ؟

مراد : (يتميز غيظا) اللهم ارزقني الصبر . الم تنته زيارتك ؟ الا تستأذن وتنصرف ؟

ابراهيم : ئذن لنا يا شيخ جوسقى . (ينهض هو ورجاله لينصرفوا)

الجوسقى : مع ســـلامة الله يا ابراهيم بك . لا تؤاخذنى اذ رفضت .

ابراهيم : انت معذور . انت على حق . لا يصح أن ننهزم فى شبراخيت ونعرض أموال الرعية للضياع ثم تكلفك بأن تحفظ لنا أموالنا ! يخرج ورجاله ،

مـراد : حسود حقود . يشتهى أن تضيع أموالى وكنوزى وتبقى له هو وحده أمواله وكنوزه .

الجوسقى : الا تصدقنى يا مراد بك ؟

مـراد : احلف لى ليطمئن قلبى .

الجوسقى : والله العظيم لقد رفضت ودائعه .

مـراد : احسنت يا شيخ سليمان فهو لا يستحق خدمتك. انه لم يقم بشيء فى الدفاع عن البلاد ولن يقوم بشيء . أما ودائعى فقد احضرتها ولا يصح ان تردها .

الجوسقى : ساحفظها لك يا مراد بك ولكن بشرط ..

مـراد : اشترط ما تشاء يا صديقى العزيز .

الجوسقى : عندك ترسانة ملأى بالأسلحة والبارود .

مـراد : نعم .

الجوسقى : اعطنى مفتاحا وانا اخبىء لك الأسلحة عنـدى واحفظها لك مع هذه الودائع .

مـراد : كلا لا شأن لك بالأسلحة .

الجوسقى : انها اليوم اثمن من هذه الحلى والجواهر واخطر على البلاد ان وقعت فى ايدى العدو .

مراد : بل تريد يا خبيث أن توزعها على الرعاع ليقاتلونا بها فيما بعد ! اتحسبنى لا أعرف الهدف الذى ترمى اليه ؟

الجوسقى : هذه الأسلحة التى تبخل بها علينا اليوم ستقع غدا فى يد بونابرتة .

مراد : لا شأن لك .

الجوسقى : اذن فلا شأن لى بودائعك هذه .. اردها الى حيث كانت .

مراد : اتتحداني يا شيخ العميان ؟

الجوسقى : نعم .

مراد : سترى ما يصيبك

الجوسقى : قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .

مراد : سترى .

الجوسقى : اسد على وفى الحروب نعامة .
فتخاء تجفل من صفير الصافر .

مراد : دع عمياتك ينفعونك .

الجوسقى : تذكر ان هؤلاء العميان قد نفعوك ذات يوم .

مراد : متى ؟

الجوسقى : يوم جئت من الصعيد عقب صدور العفو عنك فقيرا لا تملك شروى نقير فاقرضتك من اموال هؤلاء العميان فلهم فضل عليك .

(يدخل أحد العميان)

الجوسقى : ماذا وراءك يا عمارة ؟

عمارة : الفرنسيس تحركوا اول الصباح من ام دينار .

الجوسقى : ادركهم يا مراد بك فلعلهم الآن على مقربة من وراق الحضر .

(يخرج مراد ورجاله مسرعين وقد حملوا الودائع معهم)

(تدخل ناصحة زوجة الجوسقى)

الجوسقى : ناصحة ماذا تريدين يا ناصحة .

ناصحة : ادخل يا سيدنا الشيخ . فاختبىء فى الحال .

الجوسقى : خوفا من مراد ؟

ناصحة : نعم .

الجوسقى : أكنت تسمعين حديثنا ؟

ناصحة : من أوله الى آخره .

الجوسقى : هذا رجل نفاج يقول اكثر مما يفعل .

ناصحة : كلا يا سيدنا الشيخ لقد راقبت عينيه وهو يهددك فرأيت فيهما المدى والسكاكين .

الجوسقى : أكنت ترقبيننا ايضا ؟

ناصحة : نعم من خلف ذاك الشباك .

الجوسقى : ماذا ترون يا جماعة ؟

اصوات : (من ناحية الشمال) كنا سنشير عليك يا مولانا الشيخ بهذا الراى الذى قالته أم داود .

الجوسقى : أتخافون منه ومن رجاله ؟

الاصوات : كلا لا نخاف منهم ولكن نخاف عليك والاحتياط أفضل .

ناصحة : أحسنتم يا جماعة . هيا بنا يا سيدنا الشيخ .

الجوسقى : اسمعوا يا اخوانى . ان وقع المحذور وجاء رجال مراد فاتركوهم يفتشون كما يشاءون فلن يهتدوا الى مخبئى ابدا .

الاصوات : الا اذا اعتدوا علينا فسنعتدى عليهم .

الجوسقى : تجنبوا الاشتباك معهم بقدر الامكان فما ينبغى ان نبدد قوانا من الآن .

الاصوات : سمعا يا مولانا الشيخ .

(يخرج الجوسقى وناصحة من الباب الثالث)

(يظهر عبد القادر وحمزة على المسرح)

حمزة : يجب أن نستدعى أصحابنا المسلحين يا عبد القادر .

عبد القادر : لكن مولانا الشيخ أوصانا بالمسالمة .

حمزة : لن يشهروا سلاحهم الا عند اللزوم .

عبد القادر : كلا ليس الآن يا حمزة . سوف نستدعيهم عند اللزوم .

(يسمع وقع حوافر جواد مقبل)

حمزة : ها هم أولاء قد جاءوا .

عبد القادر : هذا حصان واحد .

(يسمع شجار فى الخارج)

صوت : قل له : ايوب بك الدفتردار .

صوت : يا ايوب بك . الشيخ غير موجود .

ايوب : (صوته) لابد لى ان اراه الآن .

عبد القادر : دعوه يدخل . ادخل يا ايوب بك .

ايوب : (يدخل) أين الشيخ سليمان ؟

ناصحة : (تعود مسرعة) مرحبا بك يا ايوب بك .

ايوب : كيف انت يا ام داود ؟ أين ابو داود ؟

ناصحة : (بصوت خافض) مختبىء .

ايوب : مختبىء ؟

ناصحة : من رجال مراد بك . تحب أن تراه فى مخبئه ؟

ايوب : نعم لابد لى ان اراه اليوم .

ناصحة : هلم معى (يخرجان من الباب الثالث) .

حمزة : لكن حصانه .

عبد القادر : ماله ؟

حمزة : سيرونه اذا جاءوا .

عبد القادر : صدقت ابعدوا الحصان يا جماعة . اربطوه وراء السور الخلفى واحرسوه .

حمزة : لا يجىء هذا الدفتردار الا فى هذه الساعة !

عبد القادر : صديق الشيخ وصفيه .

حمزة : يطلعه حتى على مخبئه ؟

عبد القادر : لا خوف منه .

حمزة : واحد منهم .

عبد القادر : مختلف عنهم .

حمزة : آه متى يجىء يومنا يا عبد القادر ؟ متى ترى مولانا الشيخ وقد جلس على كرسى الوالى فى قلعة الجبل ؟

عبد القادر : قريبا ان شاء الله .

حمزة : لقد انتظرنا خمسا وعشرين سنة .

عبد القادر : هؤلاء الفرنسيس ربما يقربون ذلك اليوم .

حمزة : لكنهم سيحكمون بلادنا ويحتلونها .

عبد القادر : لن يبقوا فيها طويلا ، اذا تكون لنا جيش من الشعب .

حمزة : ومتى يتكون لنا ذلك الجيش ؟

عبد القادر : ان لم يكن فى الجبل الذى نحن فيه . ففى الجبل الذى يليه .

حمزة : آه .. سننتظر اذن طويلا بعد .

عبد القادر : لا باس يا حمزة . فساد نشأ فى قرون لا يمكن اصلاحه فى يوم وليلة .

(تسمع جلبة من الخارج ثم يدخل سبعة من مماليك مراد وهم شاكو السلاح وقد احاط بهم العميان كأنهم يحاولون منعهم من الدخول)

المماليك : ايها العميان ابتعدوا عن طريقنا . (يضربونهم بظهور السيوف)

العميان : شيخنا غير موجود . كيف تدخلون بغير استئذان ؟

المماليك : بأمر مراد بك .

العميان : ليس لمراد بك هنا أمر .

(تدخل ناصحة)

ناصحة : ماذا تريدون يا قوم ؟

المماليك : (مقدمهم) مليحة . أنت جارية الشيخ الجوسقى ؟

ناصحة : (بثبات) أنا زوجته وأم عياله .

المقدم : مليحة . لكن كبيرة .

ناصحة : مثل عيوبكم . ماذا تريدون ؟

المقدم : أين زوجك ؟

ناصحة : ماذا تريدون منه ؟

المقدم : لنأخذه معنا الى مراد بك . أين هو ؟

ناصحة : خرج .

المقدم : خرج ؟ كان هنا مع مراد بك .

ناصحة : نعم . خرج مراد بك من هنا وخرج هو من هنا .

المقدم : غير معقول : فتشوا يا رجال . فتشوا البيت .

ناصحة : فتشوا كما تحبون .

(يتفرق المماليك فى أرجاء البيت وتبقى ناصحة واقفة فى القاعة وحولها العميان)

حمزة : قد أحضرنا المسلحين يا أم داود ؟

ناصحة : ماذا تصنع بهم ؟

حمزة : ان شئت فتكنا بهؤلاء المماليك .

ناصحة : كلا يا حمزة .

حمزة : واستولينا على أسلحتهم ولم نبق لجثثهم من أثر .

ناصحة : كلا كلا . مولانا الشيخ لا يريد اليوم أن تحدث فتنة .

(يعود المماليك خائبين)

المقدم : أين ذهب ؟

ناصحة : ذهب ليقاتل الفرنسيس ؟

المقدم : أتسخرين ؟

ناصحة : هكذا قال لنا حين خرج . قال ان قتال المماليك لم يعجبه فذهب ليقاتل الفرنسيس بنفسه .

المقدم : (ينظر اليها مليا) ذهب الى عرضى ابراهيم بك بولاق أم الى معسكر مراد بك بانبابة ؟

ناصحة : أين ينتظر أن يقع القتال ؟ فى بولاق ؟

المقدم : بولاق ؟ ابراهيم بك يلعب ويتنزه فى بولاق . القتال سيكون فى انبابة .

ناصحة : اذن فلابد أنه الآن فى طريقه الى انبابة .

(تدخل نفيسة المرادية كالمتسللة ومعها جارية لها)

المقدم : هيا بنا يا رجال لن يفلت من أيدينا . سنفتش

عنه حتى نجده .

نفيسة : من هو ؟

(ينظر رجال مراد اليها مبهوتين)

المقدم : مولاتنا الست نفيسة !

نفيسة : من هذا الذى تريدون القبض عليه ؟

المقدم : الشيخ سليمان الجوسقى .

نفيسة : ايها المجرمون اياكم أن تمسوه بسوء .

المقدم : مولانا مراد بك هو الذى أمرنا .

نفيسة : ارجعوا الى مراد بك وقولوا له اننى نهيتكم عن تنفيذ أمره .

المقدم : لكن يا مولاتى ..

نفيسة : نفذ ما أقول لك .

المقدم : سمعا يا مولاتى .

نفيسة : اياكم أن تعودوا الى هذا البيت بأمر مراد بك أو بغير امره والا فلا تلوموا الا انفسكم . اخرجوا يا سبة المماليك .

(يخرجون مدحورين)

ناصحة : شكرا لك يا ست نفيسة .

نفيسة : أنت أم داود ؟

ناصحة : نعم .

نفيسة : على اى شىء تشكرينني يا أم داود ؟ أنا والله خجلانة من اعمال زوجى واعمال زبانيته .

ناصحة : ليس هذا ذنبك يا ست نفيسة .

الجوسقى : (يدخل) مرحبا بك يا ست نفيسة . شرفت بيتنا .

نفيسة : انا لا أستحق ان ترحب بى يا شيخ سليمان . انا استحق ان تطردنى .

الجوسقى : معاذ الله . انت انقذتنى من هؤلاء الزبانية . اجلسى يا ست نفيسة يا زين السيدات .

نفيسة : اعفنى يا شيخ سليمان . ليس هذا وقت الزيارة . ولابد لى ان اعود الى البيت لأودع مراد بك قبل ان يخرج الى الميدان .

الجوسقى : كما تحبين يا ست نفيسة .

نفيسة : غير ان لى حاجة استحى من ذكرها بعد هذا الذى فعله مراد .

الجوسقى : أرجو الا تكون وديعة تريدين منى أن احفظها لك .

نفيسة : بل هى ما ذكرت .

الجوسقى : لقد رفضت مثل ذلك من ابراهيم بك ومن مراد بك وغيرهما .

نفيسة : لكنك لن ترفض منى يا شيخ سليمان . انني انفق على بيوت لا عائل لها فى المدينة وعلى يتامى وارامل واخشى ان يدخل هؤلاء الغزاة فيستولوا على أموالى كلها فلا اجد ما انفقه على هؤلاء . وما كان ينبغى ان اذكر هذا ولكن ماذا اصنع ؟ لعلك تصغى لى وتستجيب لطلبى اذا علمت الباعث على ذلك .

الجوسقى : اجل يا ست نفيسة . انت لست منهم . انت شىء آخر .

نفيسة : بل انا منهم غير انى تربيت فى بلدكم وكان سيدى وزوجى الأول على بك الكبير يريد ان يستقل

بلادكم عن الأتراك ويجعلهـــا دولة مستقلة . ولولا خيانة مملوكه محمد بك أبو الذهب لربما أصبحت البلاد فى حالة أخرى اليوم .

الجوسقى : صدقت يا ست نفيسة هذا حق .

نفيسة : ولكن مراد بك وحش صـــغير . طالما نصحته فلم ينتصح . ماذا أصنع ؟ أنا امرأة لا حول لى ولا قوة (تبكى) .

الجوسقى : كلا لا تبكى يا سيدتى . انت على العين والراس . هاتى كل ما عندك من النفائس . أحفظها لك .

نفيسة : انى تركت ذلك فى البيت حتى أستأذن أولا .

الجوسقى : حبا وكرامة يا سيدتى . (ينادى) غانم . زيان شمونى . دملوجى .

الأربعة : نعم يا مولانا الشيخ (يظهرون أمامه)

الجوسقى : اذهبوا مع الست نفيسة وخذوا ما تعطيه لكم فاحفظوه امانة عندكم .

الأربعة : سمعا يا مولانا الشيخ .

نفيسة : شكرا يا شيخ سليمان (تخرج وجاريتها ويخرج خلفهما الاربعة)

الجوسقى : (يدنو من الباب الثالث) يا ايوب بك . تعال يا ايوب بك .

ايوب : (يدخل) خرجت الست نفيسة ؟

الجوسقى : نعم .

ايوب : سيدة عظيمة لا يستحقها هذا المراد الحقير .

ناصحة : كيف قبلت يا ايوب بك أن تتزوجه بعد على بك الكبير ؟

ايوب : محمـــد بك أبو الذهب هو الذى اكرهها على الزواج به .

ناصحة : ورضخت لأمره ولم تمتنع ؟

ايوب : ليس لها أن تمتنع ففى شرعتنا نحن المماليك اصبح محمد بك ولى امرها منذ تغلب على على بك الكبير (يتنهد) آه شرعته ظالمة .. كلها ظلم فى ظلم .

الجوسقى : ناصحة . هل لك أن تتركنا وحدنا ؟

ناصحة : حبا وكرامة يا سيدنا الشيخ (تنسحب)

الجوسقى : خبرنى يا ايوب بك ما هو الأمر الذى تريد أن تفضى به الى ؟

ايوب : هذه وصيتى اعهد بها اليك (يناوله طومارا كبيرا)

الجوسقى : وصيتك ؟

ايوب : كتبتها اليوم وجعلتك انت الوصى . لقد قررت يا شيخ سليمان أن أخرج اليوم لقتال الفرنسيس .

الجوسقى : والاتفاق الذى بيننا ؟

ايوب : لا أستطيع ان اعمل به .

الجوسقى : لقد كنت تؤيد رأينا يا ايوب بك .

ايوب : وما زلت اؤيده ولكنى من المماليك يا شيخ سليمان والمماليك جنود البلاد فعليهم أن يخرجوا لقتال من يغزو البلاد .

الجوسقى : أنت هنا يا ايوب بك . عواطفك معنا .. مع الشعب .

ايوب : نعم نعم ولكن لا حق لى ان الوم المماليك عـلى

مصيرهم فى قتال الغزاة وأتاخر أنا عن قتالهم .

الجوسقى : انك لا تتاخر عن تكاسل أو تثاقل وانما عن خطة مرسومة لتستأنف معنا قتالهم بعد أن يفصل الله بينهم وبين المماليك .

ايوب : لقد ا حرب الله يا شيخ سليمان البارحة واستحممت اليوم وتطهرت لألقى الله وانا نظيف طاهر .

الجوسقى : (تتحادر دموعه) طوبى لك يا أيوب بك .

ايوب : انك لتبكى يا شيخ سليمان . وما رأيتك تبكى من قبل قط .

الجوسقى : انت صديقى الوحيد يا أيوب بك ولست ادرى كيف يطيب لى العيش من بعدك .

ايوب : العيش عيش الآخرة يا شيخ سليمان . ان فرقتنا الدنيا فستجمعنا الآخرة ان شاء الله .

الجوسقى : الآخرة داران يا أيوب بك لادارة واحدة . أليس فى نيتك ان تواصل الجهاد ؟

الجوسقى : الجهاد ؟

ايوب : جهاد هؤلاء الفرنسيس المعتدين ؟

الجوسقى : ان شاء الله .

ايوب : فاحسن نيتك وأخلصها لله يدخلك الله الجنة .

الجوسقى : والذنوب التى اقترفتها ومارستها طوال أربعين سنة ؟

ايوب : باب التوبة مفتوح أمامك يا شيخ سليمان .

الجوسقى : التوبة !

ايوب : وباب الشهادة كذلك . (يعانقه مودعا) استودعك الله يا شيخ سليمان .

الجوسقى : استودعك الله حافظ الودائع . (يخرج ايوب)

الجوسقى : (يتمتم وحده فى استغراق وذهول) التوبة ؟ .. الشهادة ؟ الشهادة ؟ الشهادة ؟

(ستار)

www.liilas.com
منتديات ليلاس

(الفصل الثانى)

فى بيت محمـــد الالفى بك الذى اتخذه نابليون مسكنا له بالازبكية .

السلاملك الذى اتخـذه مكتبا له يستقبل فيـه رجالة وضيوفه ويصرف فيـه امور الحكم ومن يمينـه ممر فى الحديقة يصله بالبيت الذى لا يظهر على المسرح غير جانب صغير منه .

الوقت : اول الصباح .

(يرفع الستار عن نابليون جالسا الى مكتبه كأنه يكتب رسالة وكلما كتب شيئا مزقه كأنه يبحث عن الاسلوب الملائم) .

(تظهر فى الممر جاكلين وفرانسواز اليتين من ناحية البيت ماشيين على اصـابع قدميهما كأنهما تهيبان الدنو من السلاملك . يلمحهما نابليون من حيث لا تريانه) .

فرنسواز : ترى ماذا يصنع هناك وحده ؟ .
جاكلين : يكتب اليها رسالة لا شك .
فرنسواز : الى جوزفين ؟ .
جاكلين : الى من غيرها ؟ .

(ينهض نابليون مسرعا فيختفى ثم يظهر من شـــباك قريب من موقفهما فى الممر فيقف هناك دون ان تلحظاه) .

فرانسواز : وهو يعلم انها تخونه مع عشاقها فى باريس ؟ .
جاكلين : عسى ان يشعرها دائما بوجـــوده فتمتنع عن خيانته .
فرانسواز : وبينها وبينه هذا البحر الكبير ؟
جاكلين : حتى هذا البحر لم يعـــد لنا مسلك فيه منذ تحطم اسطولنا فى كارثة ابو قير .
فرانسواز : صحيح . اصبحت فى امان تام .
جاكلين : هو فى الشرق وهى فى الغرب .
فرانسواز : لو كان رجلا ذا كرامة لطلقها ولوجد له خيرا منها .
جاكلين : خبرينى يا فرانـــــواز هل رايت جوزفين هذه ؟ .
فرانسواز : لا لم تسعد عينى برؤيتها وانت ؟ .
جاكلين : ولا انا ؟ .
فرانسواز : لكن لم هذا السؤال يا جاكلين ؟ .
جاكلين : اريد ان اعرف شقراء هى ام سمراء .
فرانسواز : اغلب الظن انها من الشقر .
جاكلين : ولم لا تكون من السمر ؟ .
فرانسواز : انما هذه امنيتك ان تكون سمراء مثلك .
جاكلين : امنيتى ؟ .
فرانسواز : نعم .. عسى ان يميل اليك .

جاكلين : يا مسكينة . اتظنين أن الرجال يعشقون شبيهات زوجاتهم ؟ .

فرانسواز : غالبا .

جاكلين : أنت لا تفهمين شيئا يا فرانسواز .

فرانسواز : بل أنت التى لا تفهمين يا جاكلين .

جاكلين : انهم يفضلون المذاق المختلف .

فرانسواز : هذا حينما تكون زوجاتهم معهم . لاصقات بهم .

جاكلين : واين زوجته الآن ؟ .

فرانسواز : فى باريس او ربما فى ميلانو . من يدرى ؟ .

جاكلين : فكيف يهملنا نحن معا . ان كانت شقراء فكيف يهملك ؟ وان كانت سمراء فكيف يهملنى ؟ .

فرانسواز : صدقت . يبدو انه لا ارب له لا فى السمر ولا فى الشقر . (ضحك)

جاكلين : علام اذن يمسكنا عنده فى البيت ؟ .

فرانسواز : لنكون منصفين ، هو لا يمسكنا يا جاكلين .

جاكلين : لكن يسره ويبهجه أن نقيم عنده ويؤلمه ان نتركه .

فرانسواز : هذا حق . لعله يحب أن يكون له حريم كعادة الشرقيين .

جاكلين : لكن الشرقيين يا فرانسواز لا يهملون حريمهم ! (ضحك) ثم ان هذا كان حاله من قبل أن يعرف الشرق والشرقيين فقد بلغنى أن الجميلات افلن عليه بعد انتصاراته فى شمال ايطاليا فكان يحب الجلوس اليهن والحديث معهن .

فرانسواز : فقط ؟ .

جاكلين : فقط . ولما سئل فى ذلك اجاب بانه لو اتساق مع اولئك الفاتنات لما استطاع أن يحرز اى انتصار او ينجز اى عمل .

فرانسواز : ربما كان على حق يا جاكلين .

جاكلين : هذا نقص فيه . انظرى يوليوس قيصر . كان اكبر فاتح فى التاريخ وكان اكبر زير نساء .

فرانسواز : ظن يا جاكلين أن من واجبنا الآن ان نتركه قبل ان يعلم ازواجنا فيظنوا بنا الظنون ونحن ابرياء ! .

جاكلين : اما زوجى فقد علم ! .

فرانسواز : علم ؟ .

جاكلين : نعم .

فرانسواز : ولم يفعل شيئا ؟ .

جاكلين : اليوم فقط ادركنا لماذا لم يفعل شيئا . لقد كان ضابط اتصال لبونابرته فى معاركه بايطاليا فلعله عرف حقيقة صاحبه فاطمأن ! (ضحك) .

(يختفى ظل نابليون من الشباك ثم يتنحنح ويظهر فى الممر) .

نابليون : (يتقدم الى المرآتين فى بشاشة وطلاقة كأنه ما سمع شيئا مما قالتاه) فرانسواز ! جاكلين ! بونجور ! .

المرآتان : بونجور . سيدى القائد .

نابليون : اى جمال واى رقة واى دماثة واى حيرة بين السمرة والشقرة ! .

جاكلين : شكرا سيدنا القائد .

فرانسواز : ما اظرفك .

نابليون : رباه الى متى انا محروم من هذه المتع ؟ (يجذب يد جاكلين اليه) آه لو انال كل ما اشتهيه ! .

جاكلين : كل ما تشتهيه يا سيدى القائد (ترتمى عليه فى استسلام) .

نابليون : (يقصيها عنه فى لطف) معذرة يا سيدتى انا لا احب المعارك التى تكسب بسهولة .

فرانسواز : انا يا سيدى القائد صعبة المنال (تدنو منه) .

نابليون : انت يا فرانسواز ؟ انت خضعت قبل ان ابسط يدى اليك . انصرف الى بيتك فزوجك اليوم قادم من رشيد وزوجك ايضا يا جاكلين . مع السلامة .

(يصعد الى مكتبه ويتركهما مبهوتتين) .

(تنسحب المرأتان فى خطى ثقيلة ناحية البيت) .

(ينظر نابليون فى الرسالة التى كتبها آنفا فيتغير وجهه ويمزق الرسالة تمزيقا شديدا ويرميها فى السلة ثم يصلح هندامه ويمسح وجهه بمنديله ويقرع الجرس)

(يدخل الحاجب)

الحاجب : نعم سيدى القائد .

نابليون : قل للمسيو بوسيلج يدخل .

(يخرج الحاجب ثم يدخل بوسيلج . شاب فى الرابعة والثلاثين يبدو عليه حكمة الشيوخ) .

بوسيلج : وبنجور سيدى القائد .

نابليون : بونجور مسيو بوسيلج . معذرة ان اخرتك ليلا .

بوسيلج : ليس لمثلى ان يحاسبك على اى حال . انت مقدور .

نابليون : كلا انت اهم رجل فينا اليوم . اهم حتى منى انا .

بوسيلج : انت رئيسنا وقائدنا يا سيدى القائد .

نابليون : حياتنا جميعا فى يدك ومستقبلنا ايضا فى هذه البلاد .

بوسيلج : تجلد يا سيدى ولا تبتئس .

نابليون : هل آنست منى اى ضعف او تضعضع ؟ .

بوسيلج : لا يا سيدى .

نابليون : صارحنى . اريد الصراحة .

بوسيلج : فى صوتك يا سيدى .

نابليون : ماذا فى صوتى ؟ .

بوسيلج : رنة بكاء .

نابليون : لانى احبك يا بوسيلج واثق بك . هل سمعت خطبتى فى الجنود مساء امس ؟ .

بوسيلج : نعم كنت هناك .

نابليون : كيف كان صوتى ؟ .

بوسيلج : قويا يجلجل كالرعد . كصوتك فى معركة

الاهرام حين قلت : ايها الجنود تقدموا ان اربعين قرنا من الزمان تنظر اليكم من فوق قمم هذه الاهرام .

نابليون : شتان بين الموقفين يا بوسيلج .

بوسيلج : كن صوتك لم يتغير . كان فى نفسى القوة وانت تقول : حقا ان الخطاب جليل ولكن كان يكون اجل وافدح لو ان تلسون عثر بأسطولنا ونحن قادمون الى مصر فاغرقنا فى البحر . اما الآن فنحن حكام هذه البلاد ولدينا الجنود والذخائر والخيرات والاموال .

نابليون : (مسرورا) انك لتحفظها .

بوسيلج : (مكملا) فلنرفع رؤوسنا ايها الجنود البواسل ولنصعد على الموجة هازئين بالعواصف والزعازع فربما قدر لنا ان نغير صحيفة هذا الشرق وان نضع اسماءنا بجانب الاسماء التى خلدها التاريخ ! .

نابليون : كلام يا بوسيلج ما اسهل الكلام ! .

بوسيلج : ما كان ليكون بهذه القوة لو لم يكن صادرا من قلبك .

نابليون : من قلبى ؟ يا ليتهم تركوا لى قلبى ولم يسحقوه !

بوسيلج : اجل يا سيدى ، انهم سفلة ! .

نابليون : من هم ؟ .

بوسيلج : رجال حكومة الديركتوار .

نابليون : فهمت من كلامى اننى اعنيهم ؟ .

بوسيلج : نعم .

نابليون : ولم يخطر ببالك غيرهم ؟ .

بوسيلج : لا .

نابليون : (يتنفس الصعداء) الحمد لله .. اذ عرفتهم . انهم يحسدوننى ويبغضوننى واحب ما يحبون ان ابيد انا ومن معى فى هذه البلاد .

بوسيلج : كلا يا سيدى لن تنيلهم ما يبتغون . (بلهجة الخطيب كما كان من قبل) ان كانت الظروف قضت علينا ان نبقى هنا وان نقوم باعمال عظيمة فلنقم بها . وان كانت البحار التى لا سيادة لنا فيها قد فصلت بيننا وبين وطننا فانه لا توجد بحار تفصلنا عن افريقيا وآسيا !

نابليون : (مسرورا) برافو . براڤو . تذكر يا مسيو بوسيلج ان عليك مهمة اخرى غير ترديد هذا الكلام .

بوسيلج : اطمئن يا سيدى . انما اردد كلامك هذا لاستمد منه قوة على العمل .

نابليون : لتحيى اوربا كلها فانا كفيل بحياتها ما دمت انت معى . والآن ماذا عندك ؟ .

بوسيلج : فكرت فى السيادة المالية الجديدة التى علينا ان نتبعها بعد كارثة ابو قير .

نابليون : ووضعت تقريرا عنها ؟ .

بوسيلج : شرعت فيه ولم اتمه بعد .

نابليون : صادفتك مشكلة ؟ .

بوسيلج : المشكلة الكبرى كيف نبتز المال من المصريين دون ان نغضبهم .

نابليون : (يضحك) نبتز ؟ كلمة مضحكة ! .

بوسيلج : لكن دقيقة .

نابليون : ماذا لو استعملت كلمة نختلس ؟ .

بوسيلج : هذه استعملناها فى مدلول آخر يا سيدى .

نابليون : استعملتها فعلا ؟ .

بوسيلج : نعم .

نابليون : فى التقرير ؟ .

بوسيلج : نعم .

نابليون : (مازحا) ما كنت اعلم أن لى ملكة لا باس بها فى الشئون الاقتصادية .

بوسيلج : العبقرية يا سيدى .. العبقرية المتكاملة .

نابليون : لكن اشرح لى فى اى مدلول استعملت كلمة نختلس ؟ .

بوسيلج : فى باب الضرائب والرسوم التى ناخذها منهم دون ان يشعروا بها .

نابليون : وكلمة نبتز ؟ .

بوسيلج : فيما لا مناص من ان يشعروا به حين ناخذه منهم .

نابليون : اذن فاقتصر على باب الاختلاس .

بوسيلج : لا يكفى وحده يا سيدى . لا بد ان نضيف اليه باب الابتزاز .

نابليون : لكن ذلك سيغضبهم .

بوسيلج : انت عليك يا سيدى الباقى .

نابليون : أجل . ما رايك يا بوسيلج لو اسلمنا ؟ .

بوسيلج : (مدهوشا) اسلمنا ؟ .

نابليون : اعلنا اننا مسلمون . دخلنا فى دين الاسلام .

بوسيلج : لكن يا سيدى ..

نابليون : حكومة الديركتوار ؟ لتذهب حكومة الديركتوار الى الجحيم . سيعتبرنا هؤلاء المسلمون اخوانا لهم من أول يوم وساكون انا السلطان الكبير .

بوسيلج : ومبادىء ثورتنا الكبرى ؟ .

نابليون : الحرية والمساواة والاخاء ؟

بوسيلج : نعم .

نابليون : هذه فى الاسلام قد جاء بها منذ اثنى عشر قرنا .

بوسيلج : احقـــا ؟ .

نابليون : فى صورة انسانية اكمل واعظم .

بوسيلج : لكنا لا نرى لها اثرا فى هؤلاء المسلمين .

نابليون : افسدها عليهم الدخلاء وتقادم بها العهد فانطمست معالمها ولكنها موجودة هناك فى القرآن وفى سيرة محمد وسيرة اصحابه تنتظر من يجلو منها الصدا فاذا هى تلمع من جديد ! .

بوسيلج : يا سيدى ما احسبك جادا فيما تقول .

نابليون : بلى . ماذا يمنع ؟ .

بوسيلج : يا سيدى نحن ما جئنـــا لنحرر هذه البلاد او نجدد ما درس من دينها وثقافتها بل لنجعلها مستعمرة فرنسية تكون لبنة فى عظمة فرنسا وشوكة فى حلق انجلترا عدوتنا اللدود .

نابليون : اجل . اجل لئن عشت يا صديقى ونهضت من كبوتى هذه فلن يهدأ لى بال او يقر لى قرار حتى انتقم من نلسون واحطم انجلترا تحطيما .

بوسيلج : الآن اطمانت نفسى . ان فرنسا لا تستطيع ان تستغنى عن قائدها المظفر بونابرت .

نابليون : سنكتفى اذن بمشاركتهم فى احتفالاتهم الدينية تحببا اليهم وتعاطفا معهم .

بوسيلج : هذا جميل يا سيدى القائد . دعنى أجرح وانت تداوى وتمسح . دع الكراهية لى وخذ انت الحب .

(يدخل الحاجب) .

الحاجب : رجل اعمى يا سيدى زعم انك قابلته فى قصر مراد بك فى الجيزة قبل دخولك القاهرة .

نابليون : (كأنه يحاول أن يتذكر) .. سليمان الجوسقى ! .

الحاجب : نعم هذا اسمه يا سيدى .

بوسيلج : رجل اعمى ! .

نابليون : رجل عجيب . ما رأيت اذكى منه .

بوسيلج : خذ حذرك منه لعله ..

نابليون : كلا لا خوف منه . دعه يدخل .

بوسيلج : فتشه اولا قبل أن تدخله .

نابليون : لا بأس .. فتشه بلطف .

الحاجب : سمعا يا سيدى .

بوسيلج : ماذا عساه يريد ! .

نابليون : انا كنت اريده . جاء فى الوقت المناسب .

بوسيلج : انت يا سيدى الرجل العجيب .

(يدخل الحاجب ومعه الجوسقى)

الجوسقى : (ينحنى طريقته) ارنى ابن اجلس امام سارى عسكر .

نابليون : اجلسه هناك . فى ذلك المقعد (يشير الى مقعد امامه) ! .

الجوسقى : الآن اهتديت الى طريقى (يسير وحده الى حيث جلس فى المقعد دون ان ينتظر ارشاد الحاجب) .

نابليون : عجبا .. كأنك غير كفيف .

الجوسقى : سمعى هو الذى هدانى .

نابليون : سمعك ! .

الجوسقى : وصوتك .

(يتبادل نابليون وبوسيلج النظرات متعجبين) .

نابليون : هل اعوانك العميان كلهم مثلك .

الجوسقى : بل يتفاوتون كما يتفاوت المبصرون . قل لجليسك يتركنا وحدنا يا سارى عسكر ! .

نابليون : كيف عرفت ! .

الجوسقى : من صوتك . كنت تكلمنى وانت تنظر اليه .

نابليون : ماذا يضيرك من بقائه ! .

الجوسقى : جئتك وحدى لأكلمك وحدك .

بوسيلج : (ينهض) اورفوار مسيو لوجنرال .

الجوسقى : اورفوار مسيو ! .

نابليون : وتعرف لغتنا ! .

الجوسقى : قليلا .. من مخالطتى للتجار الأجانب .

(ينظر اليه بوسيلج مدهوشا ثم يخرج)

نابليون : نحن الآن وحدنا يا شيخ جوسقى .

الجوسقى : (بلهجة آمرة ولكن طبيعية كلهجة الأب حين يأمر ابنه) ادن منى يا سارى عسكر . لاكلمك من قريب .

نابليون : (يدنو منه مطيعا ولكنه سرعان ما يتراجع الى مكانه الأول كأنه شعر بالمهانة اذ اطاع أمره) بل انت ادن منى .

الجوسقى : (يقترب منه) أمرك . انا فى بيتك . هل فكرت فيما اقترحته عليك من قبل ؟ .

نابليون : تكوين جيش من الشعب ؟ .

الجوسقى : نعم .

نابليون : (يضحك) يا شيخ جوسقى هـذا الشعب لا يصلح للقتال .

الجوسقى : (فى حدة) من قال لك ؟ انك تردد كلام المماليك والاتراك .

نابليون : الم تر الى ما اعترى أهل القاهرة من الفزع والوهل حتى هربوا منها بمتاعهم وأولادهم قبل أن ندخلها فتخطفهم اللصوص فى الطريق ؟

الجوسقى : يا سيدى لم يكن ذلك عن جبن ولكن عن جهل بحقيقة الحال وقلة نظام وسوء تدبير وعدم وجود قيادة واعية . لقد خرجوا من بيوتهم جماعات جماعات لا سلاح لها ولا نظام فانضموا الى جيش ابراهيم بك فى بولاق فلما دارت الدائرة على جيش مراد وهرب مراد هرب كذلك ابراهيم بك فاضطرب هؤلاء وانتشر فيهم الذعر فلم يلو احد على احد فكان ما كان .

نابليون : انا على اى حال قد افدت من اقتراحك فانشأت لكم ثلاثة فيالق .

الجوسقى : لعلك تعنى فيلق عمر القلقجى ، وفيلق نقولا الرومى ، وفيلق الجنرال يعقوب ؟ .

نابليون : نعم .

الجوسقى : يا سيدى هؤلاء ابغض الى الشعب من جيشك الفرنسى . انك بتكوينها كمن لا يرضى أن يصفع الشعب فصفعه بمداسه ! .

نابليون : الأنهم اجانب ؟ .

الجوسقى : بل لأنهم خونة .

نابليون : خونة ؟ .

الجوسقى : الجنرال يعقوب ليس اجنبيا ولكنه خائن . وانت ورجال جيشك اجانب ولكن لستم خونة . انا قلت لك يا سيدى . جند من الفلاحين ومن العربان .

نابليون : هؤلاء هم الذين قاومونا وقاتلونا فى طريقنا من الاسكندرية .

الجوسقى : وما زالوا حتى اليوم يقاومونكم فى الأقاليم .

نابليون : فكيف اعتمد على هؤلاء ؟ .

الجوسقى : اذا كسبت قلوبهم كسبت كل شىء .

نابليون : وكيف اكسب قلوبهم ؟ .

الجوسقى : اذا اقتنعوا انك تريد حقا ان تحررهم من ظلم المماليك .

نابليون : وكيف يقتنعون بذلك ؟ .

الجوسقى : اذا راوك تطمئن اليهم فتنشىء منهم جيشا ليحل محل جيش المماليك .

نابليون : ما يضمن لى انهم لا يسيئون بى الظن ان اردت ان اجندهم ؟ .

الجوسقى : انا كفيل لك بذلك فان لى معرفة برؤسائهم وزعمائهم ومن يأتمرون بأمرهم فى كل بلدة وكل قرية وكل كفر سواء فى الوجه البحرى أو فى الصعيد فساجعلهم يعاونونك فيما تريد .

(يدخل الحاجب)

الحاجب : يريد يا سيدى القائد من الجنرال فوجيير والجنرال زايونشك (يسلمه رسائل وينسحب) .

نابليون : (يتصفحها فيتغير وجهه) انت هنا تدعو لتكوين جيش من الفلاحين يا شيخ جوسقى وها هم الفلاحون يقومون بثورة كبيرة هناك .

الجوسقى : فى غمرين وتنا ؟ .

نابليون : كيف عرفت ؟ .

الجوسقى : من اهوائى . وهى التى دفعتنى اليوم للمجىء اليك .

نابليون : ماذا نقلوا لك ؟ .

الجوسقى : ان النساء اشتركن فى الثورة وان عدد القتلى من الاهالى يزيد على اربعمائة وانكم اضرمتم النار فى القريتين .

نابليون : كانما كنت انت الذى دبرتها ! .

الجوسقى : امزح يا سارى عسكر ؟ اهذا وقت المزاح ؟ انى انما الح عليك بانشاء جيش الشعب لئلا

يقع مثل هذا الذى وقع . انهم يكرهون المماليك ولكنهم يظنونكم شرا من المماليك فقد اخذتم السلاح من ايديهم وصادرتم الخيل التى معهم لتعطوها لجنودكم .

نابليون : لا مناص من ذلك لحفظ الامن والنظام .

الجوسقى : جيش الشعب لو انشاتموه لحفظ لكم الامن والنظام دون ان تثيروا الناس عليكم .

نابليون : (بعد فترة صمت) والصعيد اتعرف ما يجرى فيه ايضا ؟ .

الجوسقى : نعم . بلغنى انكم ارسلتم الى مراد بك من فاوضه فى الصلح وعرض عليه ان يكون له اقليم جرجا الى اسوان وان مراد بك رفض .

نابليون : كلا لقد قررنا ان نرسل حملة كبيرة بقيادة الجنرال ديزيه لمحاربته والقضاء عليه .

الجوسقى : لقد اخطأتم مرتين مرة حين فاوضتموه ومرة حين قررتم أن تحاربوه .

نابليون : ماذا تقول ؟ .

الجوسقى : فى الأولى اثبتم للشعب انكم غير صادقين فيما زعمتم انكم جئتم للقضاء على المماليك وتحرير البلاد منهم .

نابليون : وفى الثانية ؟ .

الجوسقى : ستجعلون من مراد بك بطلا فى الصعيد وتدفعون الاهالى الى التمسك بالمماليك والقتال معهم ضد الفرنسيس .

نابليون : أفتترك مراد بك يصول ويجول هناك ؟ .

الجوسقى : انشىء جيش الشعب فى الصعيد أيضا وانا كفيل لك بألا يمضى زمن طويل حتى يقاد اليك مراد بك اسيرا ذليلا كالكلب .

نابليون : جيش الشعب . جيش الشعب . خبرنى يا شيخ جوسقى ما حقيقة قصدك ؟ .

الجوسقى : عجبا ألم تفهم قصدى بعد يا سارى عسكر ؟ انى لا أريد ان يحكمنا المماليك والاتراك من جديد .

نابليون : كلا لن يعودوا الى حكمكم ابدا ما دام جيشنا فى البلاد .

الجوسقى : ليس لنا ان نعتمد عليكم فى كل وقت فربما تدعوكم حكومتهم للدفاع عن فرنسا ذاتها ضد الدول المعادية لها فى أوربا ولا سيما انجلترا فماذا يكون حالنا حينئذاك ؟ سيعود المماليك الينا لا محالة ومن خلفهم الاتراك .

نابليون : (بعد صمت قصير) قد كان لاقتراحك هذا محل لولا كارثة أبو قير .

الجوسقى : بالعكس يا سيدى انتم احوج اليه اليوم منكم امس .

نابليون : كيف ؟ .

الجوسقى : اغلب الظن ان الانجليز بعد ما حطموا اسطولكم هنا سوف يتفقون مع الاتراك على غزو مصر لطردكم منها .

نابليون : دعهم يأتوا فلأهزمنهم شر هزيمة .

الجوسقى : ما لم تنشىء جيش الشعب فانى أخشى ان ينضم شعبنا الى الاتراك فيقاتلوكم معهم فى كل مكان .

نابليون : واذا انشاناه ؟ .

الجوسقى : فسيقاتلون الاتراك معكم بلا ريب لانهم حين يذوقون لذة الحرية لا يمكن ان يعودوا الى العبودية .

نابليون : (بعد فترة صمت) ان كلامك منطقى جميل ولكن ربما سيكون موقفهم منا مثل موقفهم من الاتراك .

الجوسقى : كلا سيحفظون لك ما عاشوا هذا الجميل .. انك انشأت لهم جيشا منهم وليس ذلك بالقليل لان المماليك والاتراك كانوا يأبون عليهم ذلك .

نابليون : اعطنى فرصة أخرى للتفكير .

الجوسقى : كما تحب : وماذا عن السيد محمد كريم ؟ .

نابليون : (يلوح الغضب فى وجهه) ما شأنك به . هل تعرفه ؟ .

الجوسقى : ومن ذا لا يعرف السيد محمد كريم ؟ .

نابليون : اياك ان تتشفع له فلن اقبل فيه اى شفاعة .

الجوسقى : اذن فدعنى احاول اقناعه بدفع الفدية .

نابليون : ما احسبك تنجح فقد ركب رأسه ورفض .

الجوسقى : اعطنى الفرصة فلعلى انجح .

نابليون : (يضرب الجرس فيدخل الحاجب) دعهم يحضروا السيد محمد كريم هنا . أسرع .

الحاجب : حالا يا سيدى القائد (يخرج) .

الجوسقى : انا لا أحب لك ان تقتله يا سارى عسكر .

نابليون : حتى لا اهيج خواطر الناس ؟ .
الجوسقى : نعم .
نابليون : قد حكم عليه بالاعدام فخففته انا الى الفدية ، فعليه ان يدفعها اذا شاء الا يعدم .
الجوسقى : ستة وثلاثون الف ريال كثيرة عليه .
نابليون : بل قليلة بالنسبة الى جرمه والى غناه .

(يدخل الحاجب ومعه السيد محمد كريم وفى يديه القيد)

نابليون : الشيخ سليمان الجوسقى طلب ان يراك فاجبته الى طلبه .
كريم : ان كان يريد ان يقنعنى بدفع الفدية فليوفر على نفسه التعب .
الجوسقى : اتركنى وحدى معه اذا تفضلت يا سارى عسكر .

(يخرج نابليون ويصفق الباب وراءه)
(يدنو كريم من الجوسقى فيتكلمان بصوت خافض) .

كريم : ماذا جاء بك يا شيخ سليمان ؟ .
الجوسقى : الا تحب ان تراني ؟ .
كريم : بلى .
الجوسقى : فلماذا اجبته ذلك الجواب الخشن ؟ .
كريم : لئلا يرتاب فى حسن نيتك .
الجوسقى : احقا ان سفينة من سفنكم ساعدت الأسطول الانجليزى فى معركة ابو قير ؟ .

كريم : نعم والرجل يعتقد ان لى يدا فى ذلك وهذا سر حقده على .
الجوسقى : لكن المعركة لم تدر الا وانت مقبوض عليك .
كريم : هو يعتقد اننى كنت الموجه .
الجوسقى : وهل كنت انت الموجه ؟ .
كريم : نعم .
الجوسقى : استعين على عدونا بعدو آخر ؟ .
كريم : ما المانع ؟ .
الجوسقى : الا تخشى ان يحتلنا الانكليز ؟ .
كريم : لقد ضربنا الأتراك بالمماليك وضربنا المماليك بالفرنسيس وسنضرب الانجليز ان جاءوا بـ لا يدرى الا الله من . حتى يتكون لنا جيش الشعب فيتم على يديه الخلاص .
الجوسقى : صدقت . صدقت . آه لو استطعنا ان نقنع هذا الرجل بتكوين هذا الجيش .
كريم : هو أذكى من ذلك . انه يدرك ما فى ذلك من خطر عليه .
الجوسقى : ربما كان يقبل لو لم يتحطم اسطوله .
كريم : كلا ما كان ليقبل ابدا .
الجوسقى : آه لو قبل اذن لسارت حركتنا فى طريق مأمون .
كريم : لا انكر انها خطة حكيمة لو انطلت على هذا الرجل ولكنها لن تنطلى عليه فلا تتعب نفسك .
الجوسقى : والآن يا سيد محمد الا تبقى لنا على نفسك ؟ .
كريم : تريد منى ان ادفع الفدية ؟ .

الجوسقى : ان كنت قادرا ، وان لم تقـــدر فدعنا ندفع عنك .

كريم : كلا لا آذن لاحد أن يدفع عنى .

الجوسقى : ولا لى انا ؟ .

كريم : ولا لك انت . ينبغى أن يعلم هذا الرجل ان فى بلادنا من يقول لا بملء فيه .

الجوسقى : لكنا سنفتقدك يا سيد محمد .

كريم : فيك وفى اصحابنا البركة وقد وجدت لك رجلا يحل محلى فاتصلوا به .

الجوسقى : من يكون ؟ .

كريم : السيد حسن كريت نقيب الاشراف برشـيد وكبير اغنيائها .

الجوسقى : انا لا أومن بهذا الطراز من الناس .

كريم : كلا انه يختلف عن الاعيان الذين تعرفهم . رجل كله اخلاص وشـهامة . انه خير منى يا شيخ سليمان .

الجوسقى : سوف نتصل به ان شاء الله ولكنا لا نستغنى عنك يا سيد محمد .

كريم : يا اخى ينبغى أن يعزيكم عنى ان مقتلى هـذا سيكون منشورا الى الشعب ابلغ واقوى من المنشورات التى يدبجها الشيخ المهدى لهـذا الطاغية والآن قل لهم انك انتهيت منى .

الجوسقى : دعنا نستانس قليلا بعد .

كريم : حتى لا يرتابوا منك .

الجوسقى : اما من خدمة فنؤديها لك ؟ .

كريم : اهلى وعيالى تسأل عنهم . (يقرع الجرس)

(يدخل نابليون والحاجب)

نابليون : فرغت يا شيخ سليمان ؟ .

الجوسقى : نعم .

نابليون : قبل أن يدفع الفدية ؟ .

الجوسقى : لا .

نابليون : (للحاجب) خذه معك . اعده الى مكانه .

(يخرج محمد كريم مع الحاجب دون كلام وهو رافع الراس شامخ الانف) .

الجوسقى : آسف يا سـيدى . ظننت اننى اسـتطيع ان اؤثر عليه .

نابليون : الم اقل لك ؟ لقد حكم على نفسه بنفسه .

الجوسقى : (ينهض لينصرف) اتأذن لى يا سيدى ..

نابليون : أورفوار .

الجوسقى : أورفوار . فكر فى مشروع الجيش يا سارى عسكر . (يخرج)

(نابليون يقرع الجرس فيدخل الحاجب)

نابليون : اين السيدة نفيسة المرادية ؟ .

الحاجب : موجودة يا سيدى فى حجرة الانتظار .

نابليون : قل لها تدخل .

(يخرج الحاجب ثم تدخل نفيسـة المرادية) .

نابليون : (ينهض لها مرحبا) مرحبا بالسيدة الكبرى .

نفيسة : كان هـــذا فيما مضى يا ســـارى عسكر الفرنسيس .

نابليون : بل على الدوام يا سيدتى . مكانتك عندنا دائما محفوظة . تفضلى .

نفيسة : (تجلس) اتدرى لماذا احضرت اليك يا سارى عسكر ؟ لارد اليكم هذه الهدية التى اهدتها الى حكومة فرنسا من قبل (تخرج ساعة ذهبية من بين ثيابها فتلقيها على مكتبه) .

نابليون : الساعة الذهبية الفريدة . هذه هدية لا ينبغى ان ترد .

نفيسة : دعهم يقوموها واحسب ثمنها من الضريبة التى فرضتموها على .

نابليون : لكن هـذه تكرمة لك من الحكومة الفرنسية لا يصح أن تتخلى عنها .

نفيسة : اصبحت لا اراها اليوم تكرمة لى .

نابليون : حدثينى يا سيدتى ماذا اثار غضبك الى هـذا الحد ؟ .

نفيسة : كل ما عملتموه معى يثير الغضب والاشمئزاز .

نابليون : افصحى عما تريدين .

نفيسة : ابعث بخـاتم مرصـع بالجـواهر الى اوجين بوهارنيه ابن زوجتك على اثر مادبة اقمتها لكم فى بيتى فاذا جزائى ان قيل لى : ما دام عندك مثل هذه الجواهر فانت قادرة على ان تدفعى اكثر .

نابليون : الاوغاد السفلة ! كلا يا سيدتى سانظر انا فى هذا الامر ولن تدفعى اكثر من الذى عليك .

نفيسة : وهذا الذى فرضتموه على الا تراه اكثر مما اطيق ؟ .

نابليون : انه ليس عليك وحدك بل وعلى نساء المماليك اللاتى آويتهن فى دارك .

نفيسة : اتدرى لماذا آويتهن فى دارى ؟ .

نابليون : هذا امر يخصك .

نفيسة : لان هؤلاء النساء قد فرضت عليهن مبالغ كبيرة وهن لا يملكن شيئا فخشين من رجالك ان يسوقوهن ويفضحوهن فلجأن الى بيتى للحماية .

نابليون : واين اموال ازواجهن ؟ .

نفيسة : ما يدريهن اين اموالهم ان كانت لهم اموال . ابحثوا عنها انتم وفتشوا بيوتهم كما تحبون ولكن لا تتعرضوا للنساء البريئات .

نابليون : كل من تدفع الغرامة التى عليها فليس لاحد عليها سبيل .

نفيسة : وباى حق تاخذون هـذه الغرامات من هؤلاء النسوة ؟ .

نابليون : يفتدين بها انفسهن .

نفيسة : الم يشملهن الامان الذى اعلنته لاهل القاهرة يوم دخلتها ؟ .

نابليون : نساء المماليك لا يدخلن فى هذا الامان .

نفيسة : فلماذا لم تعلن ذلك فى نص الامان ؟ .

نابليون : ما كنا نعلم انهن موجودات فى القاهرة .

نفيسة : يا بونابرته هـذه بربرية لا يرتكبها الا المتوحشون . تعرفون خوفهن على شرفهن فساومتموهن عليه .

نابليون : ماذا نصنع ؟ السبيل الوحيد لاستخراج ما عليهن .

نفيسة : ارضى يا بونابرته ان يفعل ذلك بجوزفين زوجتك ؟ .

نابليون : اذا لم تدفع ما عليها فدنيها على جنبها .

نفيسة : معذرة نسيت انكم فى بلادكم لا تبالون كثيرا بهذه الامور وان الرجل منكم لا بأس عنده ان تخرج امراته مع صديقها وتسافر معه الى اى بلد ! .

نابليون : (يتغير وجهه ويحاول ان يتجلد) من قال لك ذلك ؟ .

نفيسة : قال لى الذى قال لى . أيعنيك أن تعرفه ؟ .

نابليون : لا . الا اذا شئت ان تذكريه فلا بأس .

نفيسة : لا داعى الى ذلك .

نابليون : من الفرنسيين هو ؟ .

نفيسة : نعم .. من رجالك .

نابليون : (يتحمل جهدا كبيرا لاخفاء ما فى نفسه وفى تكلف الضحك) لا تصدقيهم هؤلاء الأوغاد يحب بعضهم ان يخوضوا فى أعراض بعض .

نفيسة : (مناورة لتكشف سره) كلا انهم ماكانوا يذكرون حالة خاصة لاحد .

نابليون : (يسرى عنه) ها .. كانوا يتكلمون بصفة عامة ؟ .

نفيسة : نعم .

نابليون : هذا صحيح . العادات هناك تختلف عن العادات هنا بغير جدال . لكن حدثينى يا سيدتى واصدقينى . هل تحبين مراد بك وتحترمينه ؟ .

نفيسة : هو زوجى على كل حال .

نابليون : اجيبى على سؤالى . هل تحبينه وتحترمينه ؟

نفيسة : نعم كنت احبه واحترمه لو انه بقى فى الميدان يقاتلكم حتى قتل .

نابليون : اذن فانت لا تحبينه ولا تحترمينه ؟ .

نفيسة : الجبان لا يستحق عندى الحب ولا الاحترام .

نابليون : اذن فلا بأس عندك ان تخونيه ؟ .

نفيسة : (مجفلة) أخونه ؟ اخونه فيماذا ؟ .

نابليون : فى نفسك .

نفيسة : انى اذن اخون نفسى وشرفى وانا لا ارضى ذلك ! ماذا تحسبنى يا بونابرته ؟ اتحسبنى مثل ...؟

نابليون : (مقاطعا) معذرة ان اغضبك هذا السؤال فما أردت اغضابك .

نفيسة : ماذا اردت اذن من سؤالك هذا يا سارى عسكر ؟ .

نابليون : لا شىء يا سيدتى .. مجرد سؤال .

(تبتسم نفيسة كأنها تقول له قد كشفتك ويتضاءل نابليون خجلا فينهض واقفا

بصورة ميكانيكية ليداري ما فى نفسه ويقرع الجرس فيدخل الحاجب) .

الحاجب : نعم يا سيدى القائد .

نابليون : قل لهم يوصلوا السيدة نفيسة المرادية الى بيتها فى عربتى الخاصة . يا سيدتى سأنظر فى أمرك ولن ترى بعد اليوم ما تكرهين .
(ينحنى لها احتراما وهو يودعها) .

نفيسة : ونساء المماليك ؟ .

نابليون : سأنظر فى أمرهن جميعا .

نفيسة : وعد شرف ؟ .

نابليون : وعد شرف . (يلمح الساعة الذهبية على مكتبه) ساعتك الذهبية خذيها معك .

نفيسة : كلا ما جئت بها لآخذها مرة أخرى . اجعل قيمتها من اصل الذى على .

نابليون : اذن فسآمر بها ان تباع لك فى مزاد عام .

نفيسة : خيرا تصنع (تخرج مع الحاجب) .

نابليون : (يتمتم وحده وهو فى كرب شديد) اواه . حتى مراد بك الجبان الذى فر من الميدان اسعد حظا منى انا فاتح بلاد الطليان وقاهر المماليك . اواه ما اهون معارك الحرب فى جنب معارك القلب . لا بأس بباراس فهو رجل كبير المقام وقد عرفها قبلى وعرفتها بعده . ولكن شارل .. شارل .. شارل ذلك الحيوان التافه الخسيس الذى لا يساوى كعب حذائى كيف ترضى به مكانى ؟ جوزفين . جوزفين .

ما اشقانى بك يا جوزفين . فى يوم النصر جاءتنى انباء خزيك . يا ليتها كانت انباء نعيك. جوزفين ! جوزفين ! .

(يظهر أوجين بوهارتيه على الباب كالمتردد فى الدخول)

(يلمحه نابليون فيتغير وجهه ويتجلد ويمسح عينيه بمنديله)

بوهارتيه : سيدى القائد .

نابليون : (يثور ثورة عاتية ويلطمه فى وجهه) انت ايضا ؟ ماذا جاء بك ؟ .

بوهارتيه : (يحمر وجهه ويحاول ان يتجلد) مهمة رسمية يا سيدى القائد .

نابليون : دون أن تقرع الباب ؟ .

بوهارتيه : قرعته يا سيدى القائد .

نابليون : (كالنادم) ما هى المهمة ؟ .

بوهارتيه : الجنرال ديزيه على اهبة السير الى الصعيد . يريد أن يودعك .

نابليون : (يرفع صوته بصورة غير طبيعية كانه يريد أن يخفى ما فى نفسه) .
أين هو ؟ ادخل يا جنرال ديزيه .

(يدخل ديزيه فيتبادل معه التحية العسكرية) .

نابليون : متى السير ؟ .

ديزيه : الآن يا سيدى القائد .

نابليون : كل شيء على ما يرام ؟ .

ديزيه : نعم .

نابليون : حظا سعيدا يا صديقى الجنرال . الى الصعيد مع النصر .

ديزيه : شكرا يا سيدى القائد (يؤدى التحية العسكرية ثم يخرج) .

نابليون : (ينظر الى بوهارنيـــــه) اقض على الخونة يا جنرال ديزيه . حطم وكر الخيانة ! فى كل مكان .. فى كل مكان .

(ســـتار)

(الفصل الثالث)

المنظر :
فى بيت الشيخ سليمان الجوسقى .
نفس المنظر كما فى الفصل الأول .
الوقت :
اول الصباح .

حين يرفع الستار نرى الجوسقى يدخل من الباب الثالث وخلفه زعماء الاقاليم حسن طوبار وابن شعير وعلى المديسى وعبد الرحمن اباظة وسليمان الشواربى وهم يمسحون افواههم كأنهم قاموا من طعام كما فعلوا فى الفصل الأول ..

طوبار : خبرنى يا شيخ سليمان ماذا وضعتم فى هذا الفول المدمس ؟

الجوسقى : اعجبك ؟

ابن شعير : اعجبنا كلنا .

طوبار : كدنا نأكل اصابعنا وراءه .

الجوسقى : صنعة لا نفشى سرها لأحد .

اباظة : لا تنس انكم اخذتموها عنا يا شيخ سليمان .

العديسى : هذا غير معقول .

اباظة : اسالوه .. قل لهم يا شيخ سليمان .

الجوسقى : نعم .. اخذناها عن آل اباظة فى الشرقية .

مراد : كلا لن نؤمن يا عبد الرحمن حتى نذوقه عندك .

اباظة : اهلا وسهلا .. تفضلوا .
الحقيقة ان كل شىء فى مائدة اليوم كان ممتازا .. البيض المقلى والجبن والزيتون والحلاوة والعسل والمربى ..

ابن شعير : صحيح .. ليس القول المدمس وحده .

الجوسقى : الحمد لله اذ اعجبكم فطورنا اليوم .

طوبار : (ممازحا) يبدو لى يا شيخ سليمان ان طعامك اليوم فى عهد الفرنسيس . اشهى وادسم من طعامك من قبل .

ابن شعير : هذا صحيح .

طوبار : ترى ما السبب ؟ حذار ان يكونوا يعاملونك معاملة خاصة .

العديسى : مثل السيد خليل البكرى والشيخ محمد المهدى .

الجوسقى : لا والله يا اخوانى لقد عاملونى مثل غيرى من الناس .

طوبار : فرضوا على بيتك شيئا ؟

الجوسقى : على بيوتى كلها . اعتبروها من النوع الأعلى .. ثمانية فرانسة على كل بيت .

طوبار : كان ينبغى ان يعفوك ولا سيما بعد ما قابلت زعيمهم بونابرته .

الجوسقى : كلا . لم يستثنوا احدا من الوجهاء هذه المرة . احسن . ليعم السخط فى الجميع .

العديسى : ولا السيد خليل البكرى ؟

الجوسقى : دع هذا على جنب . هذا اصبح خليل بونابرته .

(يتضاحكون جميعا ما عدا سليمان الشواربى)

طوبار : يا شيخ شواربى الا تشاركنا فى الضحك .

ابن شعير : كما شاركتنا فى الطعام ! (يضحكون)

طوبار : استرح قليلا من فتل شواربك ؟

العديسى : دعوه يا جماعة لعله يخشى أن يخرجوه من شجرة العيلة !

(يتضاحكون)

الجوسقى : لا بد انه يبتسم الآن .

ابن شعير : ابدا ما زال يفتل شاربه !

طوبار : يا اخى نقطنا بكلامك .

الشواربى : يقولون نقطنا بسكاتك ولا يقولون نقطنا بكلامك .

طوبار : حين قالوا ذلك ما كانوا يعرفون ان فى الدنيا رجلا مقطوع اللسان مثلك .

الشواربى : اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب .

طوبار : يا اخى اعطنا من فضتك وخذ الذهب كله لك .

الشواربى : اراكم تتبادلون النكات كأنما فرغتم من مشاغلكم وهمومكم .

طوبار : بل نستعين على همومنا بهذه النكات .

الشواربى : هذا يخالف المنهج الذى نسير عليه .
طوبار : ماذا تعنى ؟
الشواربى : كنا نستعين على حكامنا الظلمة بالنكتة اذ كانت سلاحنا الوحيد . اما اليوم ...
طوبار : مازال الوضع كما كان . عدد قليل جدا هم الذين تدربوا على حمل السلاح . اما البقية ففى حاجة بعد الى سلاح النكتة .
الجوسقى : ولم لا نجمع بين السلاحين معا ؟ كلاهما مصدر قوة لنا . هذا يعيننا على احتمال الظلم والاستبداد وهذا يدفعنا الى الثورة على الظلم والاستبداد .
الشواربى : لا نريد ان نحتمل .. نريد ان نثور .
الجوسقى : بل لابد لنا من قوة الصبر والاحتمال اذا كنا نريد ان ننجح فى الثورة .

(يدخل عبد القادر من اليمين)

عبد القادر : السيد حسن كريت يا مولانا الشيخ .
الجوسقى : قل له يتفضل . (ينهض له) اهلا وسهلا تفضل يا سيد حسن .
كريت : (يدخل) السلام عليكم .
الجميع : وعليكم السلام ورحمة الله .

(يصافحهم واحدا واحدا ثم يجلس بينهم).

الجوسقى : كنا فى انتظارك يا سيد حسن من الصبح .
كريت : اعذرونى ايها الاخوة فقد أسر صاحبى الذى نزلت عنده على ان يفطرنى .

الجوسقى : كان الواجب ان تفطر عندى هنا مع بقية الاخوة .
كريت : فى المرة القادمة ان شاء الله .
طوبار : من يعلم يا سيدنا ماذا يحدث لنا فى الشهر القادم .
كريت : خير ان شاء الله .
الجوسقى : الفاتحة الى روح اخينا الشهيد محمد كريم .

(يتلون الفاتحة) .

الجوسقى : رحمة الله عليه . لقد كان فى وسعه ان يعيش لو اراد ولكنه ضرب لنا المثل .
طوبار : واشعل نيران السخط فى نفوس الجماهير .
الجوسقى : لقد قال لى ونحن فى دار بونابرته . يا اخى ينبغى ان يعزيكم عنى ان مقتلى هذا سيكون منشورا الى الشعب ابلغ واقوى من المنشورات التى يدبجها الشيخ المهدى لهذا الطاغية .
كريت : والله لقد فاز وبقى علينا نحن ان نقوم بواجبنا نحو هذه الأمة المنكوبة . هل رايتم ايها الاخوة كيف اصبحت القاهرة ؟ .
طوبار : تجولت فيها امس فلم اكد اعرفها . رايت نساء مسلمات كاشفات الوجوه يتجولن فى الطرقات مع الجنود الفرنسيس .
الجوسقى : هؤلاء من جوارى المماليك وسراريهم اتخذوهن خليلات .
طوبار : غدا ينتشر هذا الداء فى الحرائر الاخريات ؟

اباظة : لا ريب فى ذلك . عندهم المال الوفير والجاه والنفوذ .

الجوسقى : والاستقرار . لقد أوهموا هؤلاء النسوة انهم باقون الى الأبد فخلعن العذار ولم يخفن من أحد .

طوبار : والمساجد التى هدموها واجروا فيها الطرق .

الجوسقى : والبوابات التى ازالوها من الحارات ليسهل عليهم اخماد الثورة اذا قامت .

العديسى : لقد توقعوا هم الثورة واستعدوا لها وانتم لم تفكروا فيها بعد .

الجوسقى : بلى يا عديسى قد كونا لجنة للثورة وجعلنا مقرها فى الجامع الأزهر .

العديسى : ولماذا الجامع الأزهر ؟

الجوسقى : لأن نواة اللجنة من علماء الأزهر وطلابه وليسهل على غيرهم من الأعضاء من مختلف المهن والصناعات أن يترددوا على المكان دون أن يثيروا ارتياب أحد .

طوبار : وانت رئيسها يا شيخ سليمان ؟

الجوسقى : رئيسها الشيخ السادات .

الجميع : (فى شبه استنكار) الشيخ السادات .. الم تجدوا غيره ؟

الجوسقى : لو وجدنا اماما مثل الشيخ محمد الحفنى لكان هو رئيس اللجنة ولكنا لا نجد مثل هذا الطراز اليوم وما بقى الا شيوخ الوقت فاخترنا السادات فهو اصلحهم وقد رفض عضوية الديوان .

الشواربى : لكن الفرنسيس يزورونه ويأكلون فى بيته .

الجوسقى : يزورونه لما له من جاه بين الناس وعلى اى حال فهو رئيسها بالاسم فقط لا بالفعل .

الجميع : كيف ؟

الجوسقى : امام الناس فقط لتجمعهم عليه اذ لا يجتمعون الا على رجل كبير المقام ذى وجاهة وشرف .

طوبار : ورضى هو بذلك ؟

الجوسقى : ما اخذنا رايه . لقد جعلناه رئيس لجنة الثورة دون علمه .

الجميع : دون علمه ؟

الجوسقى : اجل .

العديسى : ربما ينكركم ويثور عليكم اذا علم .

الجوسقى : كلا لن يفعل . سيخاف من الفرنسيس اذا اعترف وسيخاف من العامة اذا انكر .

طوبار : وضعتموه اذن بين شقى الرحى !

الجوسقى : نعم .

طوبار : وكم عدد اعضائها اليوم ؟

الجوسقى : تسعون رجلا .

الجميع : تسعون فقط ؟

الجوسقى : هؤلاء الأعضاء اما الأتباع فبالمئات فى كل حى وفى كل حارة .

العديسى : اذن فماذا تنتظرون ؟ لقد سبقناكم فى المنصورة فاستأصلنا جنود حاميتها وكانوا اكثر من مائة وخمسين فى يوم واحد .

كريت : معذرة ايها الاخوة الم يكن من الحكمة ان لو

كانت ثورات الاقاليم وثورة القاهرة فى وقت واحد ؟

الجوسقى : كان ذلك فيما رسمناه بيننا ولكن على العديسى ومصطفى الامير اضطرا الى التعجيل .

كريت : ماذا اضطرهما الى ذلك ؟

العديسى : حامية الفرنسيس انفسهم فقد بلغنا انهم علموا بالتدريبات التى كنا نجريها ليلا فى سندوب فاعتزموا ان يبيتونا فسبقناهم .

ابن شعير : وهربتما انتما وتركتما الاهالى يصلون عذاب الفرنسيس .

العديسى : ماذا نصنع ؟ لو لم نهرب لذبحونا ذبح الخراف ولما استطعنا ان نقاتلهم فى بلاد البحر الصغير مع الشيخ حسن طوبار .

طوبار : اجل لقد كانا عونا لى فى المعارك التى دارت بيننا وبين الفرنسيس على طول البحر الصغير . كانا هما الظاهرين وكنت انا الضمير المستتر .

العديسى : كان الشيخ حسن طوبار مثل أولى الخطوة من الأولياء ينتقل بين بلاد البحر الصغير يحرض الاهالى على الثورة وبين بحيرة المنزلة يجمع مواكبه لمهاجمة دمياط .

طوبار : بس . يا عديسى اسكت . لا تفش اسرارنا يا رجل .

العديسى : ليس فينا غريب .

طوبار : تذكر عمر القلقجى .

الجميع : لعنة الله عليه .

ابن شعير : ولعنة اللاعنين . لقد لطخ اسم تونس والمغرب كله .

الجوسقى : كنا نظن انه سيحمل رسالة الكفاح المشترك اذا رجع الى بلده تونس فاذا هو يخوننا فى بلدنا ويخون العرب والمسلمين .

اباظة : لست ادرى كيف ولتقم بمثل هذا الخائن .

الجوسقى : ما كان يخطر ببالنا قط انه سينسلخ من دينه وقوميته فيؤلف جيشا من ابناء جنسه المقيمين فى مصر ليسخرهم فى خدمة الفرنسيس ضد البلد الذى آواه وهو طريد واظله وهو شريد .

طوبار : المصيبة انه سرق الفكرة منا فى انشاء جيش الشعب فانشأ على غرارها فيلقه اللعين .

ابن شعير : والطامة الكبرى اننى دعوته فاقام ضيفا عندى فى كفر عشما واطلع على اسرارنا ومخابئنا وحضر معى تدريب رجالنا خارج البلد .

الجوسقى : الحمد لله اذ لحق بخدمة الفرنسيس قبل تكوين لجنة الثورة فى القاهرة والا لاطلع على اسرارها فنقلها الى بونابرته .

العديسى : يا شيخ سليمان الا ترى ان قدرا كبيرا من التبعة يقع عليك انت ؟

الجوسقى : قلت لكم ان الخيانة التى ارتكبها عمر القلقجى كانت اكبر من ان تخطر لى او لغيرى على بال .

العديسى : لست اعنى امر هذا الخائن بل اعنى مفاتحتك بونابرته فى انشاء جيش الشعب .

الجوسقى : انا لم استبد فى ذلك برايى فقد وافقتمونى على ذلك .

العديسى : لكنها كانت فكرتك ودفعتنا دفعا الى الموافقة عليها بذلاقة لسانك وقوة عارضتك .

الجوسقى : انى مازلت حتى الآن اراها خطة حكيمة لتحرير شعبنا من الاتراك والمماليك والفرنسيس جميعا وممن يأتى بعدهم من الغزاة .

العديسى : لكنها لم تحقق لنا هذه النتيجة بل كشفت عوراتنا لبونابرته فجعل يتتبع حركاتنا فى الاقاليم فيقضى عليها واحدة بعد واحدة ؟

الجوسقى : القلقجى اللعين هو السبب . ولولاه لكان احد امرين فاما ان يقتنع بونابرته فينشىء لنا جيش الشعب لننقض به على الفرنسيس فى النهاية واما الا يقتنع فيكون ما سمعه منى تغطية لحركاتنا فى مختلف الاقاليم حتى اذا علم بها ظنها موجهة ضد المماليك لا ضد الفرنسيس .

طوبار : لنتعظ بما حدث يا اخوانى فلا نفضى بأسرارنا لكل من نثق به .

(يدخل عبد القادر)

عبد القادر : السيد بدر الدين المقدسى يا مولانا الشيخ .

اباظة : انتظر يا شيخ سليمان .

(يتهامس الحاضرون فيما بينهم)

الجوسقى : كلا يا اخوانى هذا طراز آخر . هذا عضو بارز فى لجنة الثورة .

العديسى : اذن فماذا تخافون منه ؟ ان كان ممن يخشى ان يخون فلابد انه قد خانكم .

طوبار : ابن النقيب . انا اعرفه جيدا . من اسرة كريمة فى الشام .

الجوسقى : قل له يدخل يا عبد القادر .

(يدخل بدر الدين المقدسى)

بدر : السلام عليكم .

الجميع : وعليكم السلام ورحمة الله .

بدر : ماذا جرى يا شيخ سليمان ؟

الجوسقى : يا سيد بدر كنا فى سيرة الخائن عمر القلقجى .

بدر : فخشيتم ان اكون مثله ؟

الجوسقى : نعم هذا ما حدث .

طوبار : لا تلمنا يا سيد بدر . من باب الاحتياط .

بدر : لا لوم عليكم . بعد الذى وقع من ذلك الخائن . لقد جئت الآن لأخبركم انه سيسير بفيلقه اليوم الى كفر عشا .

ابن شعير : من هو ؟

بدر : عمر القلقجى .

ابن شعير : الى كفر عشا ؟

بدر : نعم ليعاون الجنرال لانوس فى القضاء .. على زعيمها ابن شعير .

ابن شعير : يا اخى انا ابن شعير .

بدر : انت ؟

ابن شعير : وممن سمعت هذا ؟

بدر : من صاحب لى ثقة .

ابن شعير : من هو ؟

الجوسقى : واحد من رجال القلقجى اتخذه السيد بدر عينا عليه .

ابن شعير : آه لو امضى اليه الآن فاقتله .

بدر : لن تستطيع . عليه حرس شديد .

الجوسقى : لقد حاولنا اغتياله غير مرة فلم نوفق .

ابن شعير : ائذنوا لى يا اخوانى الآن . لابد ان أسبقهم الى البلد (يتهيأ للخروج)

الجميع : امض يا أخى والله معك .

(يخرج ابن شعير منطلقا)

(يدخل عبد القادر)

عبد القادر : الشيخ يوسف المصيلحى .

الجوسقى : منظم لجنة الثورة بالأزهر . قل له يدخل .

(يدخل يوسف المصيلحى)

المصيلحى : السلام عليكم ورحمة الله .

الجميع : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الجوسقى : هـذا يا اخوانى الشيخ يوسف كاتب الشيخ المهدى وامين سره .

الجميع : (فى ارتياب) الشيخ محمد المهدى ؟

الجوسقى : نعم .

المصيلحى : لم تحسن تقديمى يا شيخ سليمان . انا يا اخوانى جاسوسكم على الشيخ المهدى .

الجميع : اهلا ومرحبا .

طوبار : مرحبا بالجاسوس الكريم .

(يضحكون)

الجوسقى : حدثهم يا شيخ يوسف كيف تحتال على الشيخ المهدى وتستخرج منه الأخبار .

المصيلحى : (يقوم بتمثيل دوره ودور الشيخ المهدى فى الحوار الذى بينهما) من المؤكد ياشيخى الجليل أن بونابرته اصبح يحب خليل البكرى ويثق به اكثر منك .

المهدى : من قال لك ؟

المصيلحى : كاتبه محمد الملا .

المهدى : كذاب .

المصيلحى : لكنه يا سيدنا الشيخ يحكى لى اشياء لا يعرفها الا خواص خواص رجال بونابرته .

المهدى : (يميل عمامته الى الأمام قليلا ويهرش قفاه . ويحرك رأسه فى زهو)

ادن منى يا شيخ يوسف . اسمع هذا السر . لا خليل البكرى ولا غيره .

(يتضاحكون متعجبين من قدرة المصيلحى على المحاكاة والتمثيل)

المصيلحى : الا تعرفنى بهم يا شيخ سليمان .

الجوسقى : (يقدمهم) سليمان الشواربى من القليوبية . عبد الرحمن اباظة من الشرقية . على العديسى من الدقهلية . حسن كريت من رشيد . حسن طوبار من المنزلة والبحر الصغير .

المصيلحى : (يقول بعد كل اسم : تشرفنا) انت اذن السيد حسن طوبار . الحمد لله اذ وجدتك .

طوبار : (ممازحا) ماذا يا شيخ يوسف ؟ اتريد ان تبلغ

عنى صاحبك ليبلغ صاحبه بونابرته ؟

(يضحكون)

طوبار : حذار فان دماءهم لم تجف من سيوفنا بعد ولا جفت دماؤنا من سيوفهم حين تركت رجالى هناك وجئت الى القاهرة لاحضر هذا المجلس ثم اعود .

المصيلحى : انطلق اذن الى رجالك فان بونابرته قد اصدر امره بارسال حملة كبيرة للقضاء عليك .

طوبار : كيف ؟ الم تسمع شيئا عن خطته ؟

المصيلحى : تسير قوة من المنصورة برا وعلى البحر الصغير وتسير قوة اخرى بطريق البحيرة حتى تطبق القوتان على مدينة المنزلة من البر والبحر .

طوبار : الجنرال دوجا من المنصورة والجنرال اندريوسى من دمياط .

المصيلحى : اجل سمعت هذين الاسمين .

طوبار : (ينهض ليخرج) وداعا ايها الاخوة . يا شيخ سليمان عجلوا بثورة القاهرة . ليواجه الفرنسيس ثلاث ثورات فى وقت واحد .

المصيلحى : يا شيخ سليمان بونابرته قادم لزيارتك بعد قليل .

الجميع : بونابرته ..

المصيلحى : نعم . ارسلنى الشيخ المهدى لاخبر الشيخ سليمان .

الجميع : ماذا يريد ؟

الجوسقى : لعله يريد ان يساومنى . اخرجوا ايها الاخوة من الباب الخلفى . فانى اخشى ان يامر بتفتيش البيت .

كريت : ولكنا لم ننته بعد الى شىء .

الجوسقى : عودوا الينا بعد صلاة العشاء لنكمل الجلسة .

(يخرج الجميع من الباب الثانى يتقدمهم حسن طوبار)

(ويبقى الشيخ المصيلحى مع الشيخ الجوسقى)

عبد القادر : (يظهر) سارى عسكر الفرنسيس يا مولانا الشيخ .

الجوسقى : اهلا ومرحبا بسارى عسكر الفرنسيس .

(يدخل نابليون ومعه الشيخ محمد المهدى) .

نابليون : كيف انت يا شيخ سليمان فانا لم نرك منذ ذلك اليوم ؟

الجوسقى : ولكنى كنت اراك يا سارى عسكر !

نابليون : كنت ترانى ؟

الجوسقى : دائما امامى .

نابليون : (يضطرب قليلا ولكن يتجلد) انت لا ترانى لا من امامك ولا من خلفك .

الجوسقى : بل اراك حتى فى منامى .

نابليون : فى منامك ؟

الجوسقى : ومعك ثعبان كبير ودودة دقيقة .

نابليون : ثعبان ؟ ودودة ؟

الجوسقى : فارسلتهما على نخلة عظيمة فالتف الثعبان حول جذعها فاضطربت النخلة واصابها هلع شديد انساها كل شيء واذا صائح يصيح من السماء : اياتها النخلة لا تخافى الثعبان وخافى الدودة . وكانت الدودة قد زحفت حتى بلغت اعلاها فاخذت تمتص لبابها فتدلت سعفة من النخلة ثم ارتفعت براس الثعبان الى حيث الدودة فالتهم الثعبان الدودة فنجت النخلة .

نابليون : اتريد أن تحاجينى بالفازك ؟

الجوسقى : ليس هذا لغزا بل رؤيا .

نابليون : وماذا تريد منى ؟

الجوسقى : أن تفسرها .

نابليون : انا لا افسر الاحلام . فسرها انت .

الجوسقى : لعل الشيخ المهدى يستطيع تفسيرها .

المهدى : عندك كتاب ابن سيرين تعطير الانام فى تعبير المنام ؟

الجوسقى : عندى .

المهدى : دعنى اولا انظر فيه .

الجوسقى : قد راجعته فلم اجد فيه شيئا .

المهدى : راجعته ؟

الجوسقى : عندى عيون كثيرة تقرا لى وتراجع .

المهدى : اذن فانى سافسرها لك باجتهادى يا سارى عسكر .

نابليون : هات .

المهدى : انت الثعبان ؟

الجوسقى : اعوذ بالله .

المهدى : والدودة هى المماليك والنخلة هى مصر .

نابليون : ماذا ترى يا شيخ سليمان ؟

الجوسقى : النخلة هى مصر . هذا واضح كفلق الصبح ولكن لا يليق ان نجعلك ثعبانا . الثعبان هو جيشك .

المهدى : هذا ما كنت اعنيه .

الجوسقى : بين القولين فرق كبير .

نابليون : (يحدج المهدى بنظرة عتب ثم يلتفت الى الجوسقى) والدودة ؟

الجوسقى : ليست هى المماليك لانهم كانوا عندنا قبل ان تحضروا انتم والرؤيا تقول انك جئت بالثعبان والدودة معك .

نابليون : فما الدودة اذن . ؟

الجوسقى : لا ادرى . سوف تفسرها الأيام .

نابليون : دعنى من منامك واوهامك . ما رايك لو جعلناك سلطانا على مصر ؟

الجوسقى : وانا اعمى ؟

نابليون : انت فيهم المبصر الوحيد .

الجوسقى : اتسخر يا سارى عسكر ؟

نابليون : انت تعلم انى لست اسخر .

الجوسقى : لا سبيل الى ذلك يا سارى عسكر ؟

نابليون : لماذا ؟

الجوسقى : هذا منصب اكبر مما تعطى واصغر مما اريد .

نابليون : قلت لك لا تلغز .

الجوسقى : انا لست الغز .

نابليون : وضح .

الجوسقى : اكبر مما تعطى لانه ليس من حقك . واصغر مما اريد لانى اريد المغفرة والجنة .

نابليون : لا تحاول ان تخدعنى عن حقيقتك فانى قد عرفت كل شىء عنك : كيف جمعت مالك ولماذا جمعته وفيم تنفقه ؟

الجوسقى : كان ينبغى ان تعرف اذن ان هذا المنصب الذى عرضته على صار ابغض شىء الى .

نابليون : منذ متى ؟

الجوسقى : منذ اتيتم الى بلادنا .

نابليون : انى ساعاونك على بلوغ ما تريد .

الجوسقى : وما هدفك من ذلك ؟

نابليون : ليسود فى بلادكم العدل والامن والسلام .

الجوسقى : لو كنت تريد ذلك حقا لقبلت نصيحتى فانشأت جيش الشعب .

نابليون : سوف انشئه بعد ما تكون سلطانا .

الجوسقى : الجيش اولا ثم السلطان .

نابليون : بل السلطان اولا لنضمن ولاء الجيش . لقد لقينا متاعب من هذه الفرق التى تدربت فى الاقاليم وقامت بيننا وبينها معارك .

الجوسقى : هؤلاء كانوا يتدربون ضد المماليك فتصديت انت لقتالهم كانما لتحمى المماليك من بطشهم .

نابليون : بل كانوا ضدنا نحن الفرنسيين بدليل انهم ماكانوا يتدربون هكذا فى عهد المماليك .

الجوسقى : كانوا يمنعونهم من ذلك فلما جئتم انتم وهرب المماليك انتهزوا هذه الفرصة فلو قمتم انتم بانشاء هذا الجيش لكان ولاؤه لكم مالم تتفقوا مع المماليك عليهم .

المصيلحى : معذرة يا سارى عسكر ول شيخنا الشيخ المهدى سلطانا على مصر فهو اكفأ واصلح من هذا الشيخ الأعمى .

نابليون : (فى شىء من الغضب) انت اوعزت اليه يا شيخ مهدى ؟

المهدى : لا والله يا سارى عسكر . من تلقاء نفسه .

المصيلحى : لقد عز على يا سارى عسكر ان يرفض هذا الأعمى عرضك . السلطنة بحالها ! يا ليتنى كنت اعمى !

(يكاد نابليون يضحك لو لم يتماسك حفظا لكرامته وهيبته)

الجوسقى : يا شيخ مهدى . الا تكف تابعك هذا عنى ؟

المهدى : يا شيخ مصيلحى امسك لسانك .

المصيلحى : انت ايضا يا شيخنا ترفض هذا المنصب . ؟

المهدى : اسكت .

المصيلحى : يا سارى عسكر اتدرى ماذا اتضح لى اليوم ؟

نابليون : (متوقعا ان يكتشف سرا جديدا) هه ؟

المصيلحى : انك اكرم الناس . لا نظير لك فى الملوك ولا فى الخلفاء . لم يسمع عن احد منهم انه جاد بمثل هذه المنحة لأحد . يا ليتنى كنت اعمى ؟

الجوسقى : (يظهر الغضب) اجئت عندى يا سارى عسكر لتشتمنى فى بيتى ؟

نابليون : (غاضبا) اخرج من هنا . انتظرنا خارج الدار .

المصيلحى : سمعا وطاعة يا سارى عسكر . (يخرج) .

نابليون : والآن يا شيخ سليمان علام عولت ؟

الجوسقى : انشىء جيش الشعب اولا ثم ولنى ما تشاء .

نابليون : لقد بلغنى يا شيخ سليمان انك انت الذى تحرض الافاليم علينا .

الجوسقى : وصدقت هذه الوشاية ؟

نابليون : ما صدقتها ولا كذبتها ولكن امتناعك عن التعاون معى يجعلنى اميل إلى تصديقها .

الجوسقى : يا سارى عسكر اريد ان اعاونك فيما ينفع لا فيما يضر .

المهدى : وهل تعرف ما ينفع وما يضر خيرا من سارى عسكر ؟

الجوسقى : نعم انا اعرف ببلدى منه . وكان ينبغى عليك يا شيخ مهدى ان تنصحه لا ان تغشه .

المهدى : انت الذى تريد ان تغشه .

الجوسقى : لو اردت ان اغشه لقبلت ما عرضه على لكى يثور الناس عليه ويقولوا ولى علينا سلطانا اعمى .

نابليون : وتريد مع ذلك ان انشىء جيش الشعب لكى ينقلب علينا فى النهاية ؟

الجوسقى : معاذ الله يا سارى عسكر بل ليتوطد سلطانك فى البداية والنهاية . انك ستكسب به قلوب

الناس وتجعلهم يثقون بك ويطمئنون اليك فيلتفون حولك .

نابليون : (يضيق ذرعا فينهض) يا شيخ سليمان انا غير راض عنك .

الجوسقى : فيم يا سارى عسكر ؟ من اجل اخلاصى لك ؟

نابليون : وسوف احملك التبعة فى كل ما يحدث .

الجوسقى : فى بيتى هنا ؟

نابليون : فى كل مكان .

الجوسقى : اتمزح يا سارى عسكر ؟

نابليون : انت تعلم اننى لست امزح .

الجوسقى : ماذا تعنى يا سارى عسكر ؟

نابليون : انت تعرف ما اعنى . هيا بنا يا شيخ مهدى .

الجوسقى : انتظر يا سارى عسكر .

نابليون : ماذا عندك ؟

الجوسقى : لا ينبغى ان تنصرف من عندى وانت غاضب . سأريك ولى العهد .

نابليون : ابنك ؟

الجوسقى : نعم (ينادى) يا داود . داود .

داود : (صوته) نعم .

الجوسقى : تعال حى سارى عسكر الفرنسيس .

داود : (صوته) بونابرته ؟

الجوسقى : نعم .

(يدخل داود)

داود : أين هو يا ابى . ؟

الجوسقى : هو ذا امامك .
داود : الذى على راسه العمامة ؟
الجوسقى : يا غبى . الذى لبس على راسه عمامه .
داود : هذا الولد الصغير ؟
الجوسقى : (ياخذ باذنه فيقرصها) يا ولد . هذا بوتابرته الكبير .
داود : آى . آى . انت لا تراه يا ابى . انه صغير . انا اكبر منه .
الجوسقى : (يلطمه) فضحتنا يا كلب . ادخل عند امك .

(يخرج داود باكيا)

الجوسقى : معذرة يا سارى عسكر . ان كان هذا يصلح ولى عهد فانا اصلح سلطانا على مصر .

(يخرج نابليون عابسا دون ان يتبين بينت شفة وخلفه الشيخ المهدى)

(تدخل ام داود غاضبة) .

ام داود : ما هذا الذى صنعت يا شيخ ؟
الجوسقى : ابنك فضحنا .
ام داود : ما كان ينبغى ان تدعوه .
الجوسقى : لكنه والله شفى نفسى . اين هو ؟ ناديه .
ام داود : هو يبكى هناك ماذا تريد منه بعد ؟
الجوسقى : سأصالحه . ناديه .
ام داود : (تنادى) داود . يا داود .
داود : (يظهر من ناحية الباب الثالث فيومىء لأمه كانه يقول لها : ماذا تريدين ؟) ..

الجوسقى : (يشعر بحضوره) تعال ادن منى يا داود .
داود : لتضربنى مرة اخرى ؟
الجوسقى : بل لاكافئك . خذ هذا الدينار لك (يلقى اليه بدينار) .
داود : (يلتقط الدينار وهو خائف ان يمكر به ابوه) انا قلت الصدق يا ابى فلم ضربتنى ؟
الجوسقى : (ينقض عليه فيمسكه بين ذراعيه فى حنان) لئلا يظن اننى اوعزت اليك بذلك فيغضب منى .

(يوسعه تقبيلا)

داود : انت الآن راض عنى ؟
الجوسقى : نعم يا داود كل الرضا .

(يتملص داود من ابيه ويتطلق ليخرج)

الجوسقى : الى اين يا داود ؟
داود : الى السوق .
ام داود : حذار ان يضحكوا عليك فى الدينار .
داود : انا الذى ساضحك عليهم (يخرج)
ام داود : تعال هنا يا سيدنا الشيخ كيف ترفض ماعرضه عليك ؟
الجوسقى : انما اراد ان يستدرجنى يا ناصحة .
ناصحة : يستدرجك ؟
الجوسقى : حتى اسقط فى عيون الناس فينفضوا عنى اذا علموا اننى طامع فى منصب السلطنة .
ناصحة : لكنك كنت طامعا فى هذا المنصب وتعمل له منذ خمس وعشرين سنة فماذا كنت ستصنع ؟

الجوسقى : كنت سانشىء جيش الشعب وأطرد المماليك من البلاد وأحرر الأمـــة من ظلمهم ثم اعلن نفسى سلطانا فلا يختلف فى اثنان .

ناصحة : لكن ذلك اصبح مستحيلا اليوم بعـد مجىء الفرنسيس فلماذا لا تقبـل ما يعرضه كبيرهم عليك ؟

الجوسقى : لا يا ناصحـة . لا اقبـل ابدا ان اكون خادما للفرنسيس خائنا للامة .

ناصحة : انقلب عليهم بعد ذلك . بعد أن تكون سـلطانا نافذ الكلمة .

الجوسقى : هيهات . يا ناصحة . من باع نفسه للشيطان لا يستردها منه ابدا .

ناصحة : وما عاقبة هذا الذى انت فيـــه ؟ اما سمعته يهددك ويتوعدك ؟

الجوسقى : فكيف آمنه على نفسى بعد ذلك يا ناصحة ؟

ناصحة : اذا ارضيته وسايرته .

الجوسقى : انه عرف حقيقتى يا ناصحة .

ناصحة : ولذلك اراد ان يصطنعك .

الجوسقى : ليقضى على بعد ان اقضى له وطره .

ناصحة : ومصيرنا يا سيدنا الشيخ الا تفكر فيه ؟

الجوسقى : المصير بيد الله يا ناصحة .

ناصحة : حتى الثروة التى جمعتها طول حيـاتك صرت تبددها هذه الايام بغير حـساب .

الجوسقى : فى سبيل الله يا ناصحة .. كفارة عما ارتكبت فى جمعها من ذنوب واغتلت من حقوق .

ناصحة : ما كان اغناك من ذاك العناء فى جمعها ان كان هذا هو المصير .

الجوسقى : لله فى خلقه شئون والحمد لله اذ جعل الخاتمة خيرا من الفاتحة ولم يجعل الفاتحـة خيرا من الخاتمة .

ناصحة : وداود المسكين ماذا يكون مصيره ؟

الجوسقى : وسليمان بن داود انسيته ؟ كم له الآن فى بطن امـه ؟

ناصحة : خمسـة اشهر .

الجوسقى : هل يستطيع احدنا ان يضمن عمره اربعة اشهر ليراه ؟

ناصحة : ولا ليلة واحدة .

الجوسقى : اذن فما اهون هذه الحيـــاة الدنيا فى جنب الآخرة !

(يدخل عبد القادر ومعه سبعة نفر من العميان)

عبد القادر : مولانا الشيخ .

الجوسقى : ما خطبكم ؟

عبد القادر : برطلمين الرومى وعصابته .

ناصحة : فرط الزمان ؟

عبد القادر : نعم ذلك الجلاد اللعين .

ناصحة : ماذا يريدون ؟

الجوسقى : ادخلى انت يا ناصحة .

العميان : لا تخافى ان ارادوا شيخنا بسـوء بطشنا بهم .

ناصحة : وليس فى ايديكم سلاح ؟

العميان : من غير سلاح (تخرج ناصحة)

(يدخل برطلمين)

برطلمين : الجنرال ديبوى المستحفظان .

الجوسقى : (متجاهلا) انت المستحفظان ؟

برطلمين : (فى عجرفة) انا فرط الرمان . المستحفظان قادم .

الجوسقى : اهلا به قل له يدخل .

برطلمين : قم انت فاستقبله على الباب .

الجوسقى : اهو اكبر من سارى عسكر ؟

برطلمين : سارى عسكر فوق الجميع .

الجوسقى : فقد دخل عندى هنا ولم استقبله على الباب .

برطلمين : لو كنت معه لألزمتك .

(يدخل الجنرال ديبوى)

ديبوى : سلام عليكم يا شيخ سليمان .

الجوسقى : جنرال ديبوى . انت امرت هذا الرومى ان يسىء الادب معنا ؟

ديبوى : لا يا شيخ سليمان لا . نحن جئنا لنسألك فقط .

الجوسقى : اهلا وسهلا تفضلوا .

ديبوى : هل عندك سلاح فى البيت ؟

الجوسقى : لا يا جنرال ديبوى .

برطلمين : دعنا نفتش البيت يا سيدى الجنرال .

ديبوى : انتظر يا برتلمى .

برطلمين : لدينا معلومات مؤكدة ان عنده ترسانة من الأسلحة .

الجوسقى : فتش ان شئت يا جنرال ديبوى لترى مبلغ هذا الرومى من الصدق .

ديبوى : برتلمى .. اصرف رجالك الآن .

برطلمين : ليعاونونى فى تفتيش البيت .

ديبوى : كلا لا تفتيش .

(يشير برطلمين لرجاله فينصرفون)

الجوسقى : (بالفرنسية) شكرا جزيلا يا جنرال .

ديبوى : اوه . لا شىء يا شيخ سليمان .

الجوسقى : اجلس اذا تكرمت .. قريبا منى .

ديبوى : بكل سرور (يجلس قريبا منه حيث يتناجيان)

(يتمشى برطلمين فى القاعة كانما عز عليه الا يدعى الى الجلوس معهما .)

(العميان يتناجون فيما بينهم كانهم يدبرون امرا وفجاة يتشاجر اثنان منهم ثم يتضاربان ثم ينضم الى كل منهما فريق فيشتد العراك بين الفريقين) .

(يرى ديبوى كانه يسأل ما الخطب فيومىء الجوسقى كانه يقول له : هكذا هم دائما ويمضيان فى حديثهما غير المسموع) .

(ينقض احد العميان من احد الفريقين على برطلمين فيدفعه بقوة الى جانب الفريق الآخر فيدفعه الفريق الآخر الى الفريق الأول وهكذا يتدافعه الفريقان ، كانه كرة بين ايديهم . وهم يتضاربون

ويتصارعون فيما بينهم ويتشاتمون وبرطلمين يتطوح بينهم هذا يلطمه وهذا يركله برجله وهذا يصفعه على قفاه وهذا يجلد به الأرض وهو يحاول جاهدا أن يخلص من بينهم دون جدوى وهو صامت كأنه يستحي أن يستغيث) .

(ينظر ديبوى نحوهم فيقهقه ضاحكا من منظر برطلمين بين العميان)

الجوسقى : ما خطبك يا جنرال ديبوى . ماذا يضحك ؟

ديبوى : (ماضيا فى القهقهة) العميان !

الجوسقى : هذا دابهم كل يوم يتضاربون ثم يتصافون .

ديبوى : برطلمين يتطوح بينهم !

الجوسقى : ما شأنه بهم ؟ قل له يا سيدى يتركهم وشأنهم؟

ديبوى : برتلمى . اخرج من بينهم . اتركهم وشأنهم .

برطلمين : (يحمله احد العميان بين ذراعيه) انقذنى يا جنرال ديبوى !

الأعمى : يا ملعون لا أحد ينقذك (يجلد به الأرض)

ديبوى : انهم سيقتلونه يا شيخ سليمان . صح فيهم ليكفوا .

الجوسقى : (يصيح فيهم) يا جماعة ! كفاية !

(يكفون جميعا وينهض برطلمين وهو فى حالة سيئة يمسح التراب عن وجهه وثيابه)

ديبوى : (يعود الى القهقهة) كيف حالك يا برتلمى ؟

برطلمين : (عابسا) اتضحك يا سيدى الجنرال ؟ اعجبك ما فعلوه بى ؟

ديبوى : ماذا خلطك بهم ؟ هلا تركتهم وشأنهم ؟

برطلمين : أنا لم اختلط بهم . هم الذين اختطفونى وخلطونى بهم .

ديبوى : (يضحك) ظنوك واحد منهم .

برطلمين : كلا . لا شك انهم تعمدوا ذلك .

الجوسقى : ياحب الرمان . الا تعلم انهم عميان ؟

برطلمين : كلا بل يتظاهرون بالعمى وليسوا بعميان . لا بأس . سيرون منى يوما أسود .

ديبوى : (ينهره) برتلمى .

برطلمين : ياسيدى الجنرال لو فعلوا بك هذا اكنت تسكت لهم ! ولو سكت انت فلن اسكت . أنا لا ادخل .

ديبوى : أنا لا ادخل فيما لا يعنينى .

برطلمين : (فى حدة) صدقنى . أنا لم افعل بهم شيئا .

الجوسقى : لعلك حاولت ان تحجز بينهم .

برطلمين : كلا .. لقد كنت واقفا فى مكانى .

ديبوى : كان عليك ان تبتعد عنهم .

الجوسقى : انسيت انهم عميان يا فرط الرمان ؟ (يلتفت الى جماعة العميان)
يا جماعة أرجوكم .. اعتذروا الى فرط الرمان عما اصابه منكم عن غير قصد فهو ضيف عندنا ويجب ان يكرم على كل حال .

العميان : أمرك يا مولانا الشيخ . (يتحلقون حول برطلمين فيعانقونه واحدا واحدا) سامحنا يا فرط

الرمان . المسامح كريم . نحن كما ترى عميان محرومون من نور البصر . والشجار الذى بيننا اعمانا زيادة . الله يلعن العمى ..

برطلمين : (يتأفف منهم كأنه يستقذرهم ولا سيما اذا ضمه احدهم طالبا منه الصفح)
كفاية .. سامحتكم .. سامحتكم .. كفاية .

العميان : كلا يجب ان نبوس راسك . حقك علينا يا قرط الرمان .

برطلمين : كفاية .. كفاية ..

(يتضاحك ديبوى والجوسقى)

(ســـتار)

الفصل الرابع

فى القلعـــة : قاعة كبيرة لها بابان احدهمـــا فى القمى اليمين والآخـــر فى القمى الشمال ، فى الصـــدر منصة وكرسيان .

الوقت : ضحى .

(يرفع الستار فترى الجنرال بون على المنصة والى جانبه اسفل المنصة كاتب الجلسة وقد وقف برطلمين امام الجنرال بون) .

بون : (متضجرا) لا فائدة .. لا فائدة .

برطلمين : قد قلت لك يا سيدى القومندان . مر باعدامهم جملة واحـــدة وارح نفســـك . لا فائدة فى استجوابهم غير التعب والنصب .

بون : يابارتلمى هكذا امر القائد العام وعلينا ان نطيع امره .

برطلمين : اختصر اذن فى الاسئلة .

بون : سافعل .

برطلمين : (ينادى) هاتوا غيره !
(يساق احد الثوار وفى يديه القيد حتى يقف امام المنصة)
بون : اسمك ؟
الرجل : جمعه عبد السميع .
بون : مهنتك ؟
الرجل : جزار .
بون : اشتركت فى الثورة ؟
الرجل : انا عضو فى لجنتها .
بون : من زعيم الثورة ؟
الرجل : سر لا ابوح به .
بون : ان اخبرتنا اطلقنا سراحك والا اعدمناك .
الرجل : العمر واحد والرب واحد .
برطلمين : خذوه فاعدموه (يخرجون به) هاتوا غيره .
الحاجب : هذا القائد العام يا سيدى القومندان .
بون : اين هو ؟
الحاجب : صاعد الينا .
بون : انتظروا اذن . لا تدخلوا احدا حتى يأمر القائد العام .
الحاجب : سمعا يا سيدى (ينسحب) .
برطلمين : (يتطلع من الشباك ثم يقترب من بون) اتدرى من معه ؟
بون : من ؟
برطلمين : (بازدراء) الجنرال يعقوب . يختال فى زيه الفرنسى كانه واحد منكم .

بون : اليس خيرا من زيك هذا المضحك .
برطلمين : كان ينبغى ان تمنعوا هذا المصرى .
بون : لماذا ؟
برطلمين : الناس مقامات .
بون : صه . (ينهض من مقعده ليستقبل نابليون)
(يدخل نابليون وخلفه الجنرال يعقوب فيتبادلون التحية) .
نابليون : اوشكتم ان تنتهوا ؟
بون : ما زال امامنا كثير .
نابليون : اهتديتم الى زعيم الثورة ؟
بون : لا .. للساعة ! .
نابليون : احد اثنين . اما الجوسقى واما السادات . لا ريب عندى فى ذلك .
بون : لكنا لم نستطع ان نثبت على احد منهما شيئا .
نابليون : ولا اى ظل من الشبهة .
بون : ولا اى ظل من الشبهة .
نابليون : تذكر يا جنرال بون انك تراس محكمة عسكرية .
بون : اجل يا سيدى القائد . لقد استعملت منتهى الشدة والقسوة .
نابليون : ولا تنس ان هؤلاء الثوار قد ذبحوا الجنرال ديبوى والكولونيل سلكوسكى .
بون : وهل يمكن ان انسى ذلك يا سيدى القائد ؟
نابليون : قسما لو قتلت بهما عشرة آلاف منهم لكان قليلا
بون : صدقت يا سيدى القائد .
نابليون : قررتم المقبوض عليهم واحدا واحدا ؟

بون : نعم .. اكثر من مرة .
نابليون : ولم يعترف احد منهم بشيء ؟
بون : اعترف بعضهم بانهم اعضاء فى لجنة الثورة ولكن ابوا جميعا ان يذكروا اسم زعيمها .
نابليون : عذبتموهم ؟
بون : الوان العذاب .
نابليون : اغريتموهم بالعفو ؟
بون : وبالمال ايضا .
نابليون : رجالهم ونساءهم ؟
بون : رجالهم ونساءهم .
نابليون : اعدمتم احدا منهم امام الآخرين ؟
بون : ستين شخصا .
نابليون : ولا نتيجة ؟
بون : ولا نتيجة .
نابليون : فماذا ترى ؟
بون : ان كنت تريد ان تلصق التهمة بالجوسقى او بالسادات .
نابليون : كلا .. اريد قبل كل شيء ان اعرف من زعيم الثورة ؟
بون : دعنا نقبض على السادات ونحاكمه . لعله يعترف .
نابليون : كلا لقد حلف لى ما كان له بهذه الحركة اى علم .
بون : وصدقته ؟
نابليون : الشيخ المهدى يؤكد لى صدقه .

بون : واقتنعت بشهادة الشيخ المهدى ؟
نابليون : مازال فى نفسى شك .
بون : دعنا اذن نستخرج السر من السادات نفسه .
نابليون : السادات من الاشراف .
بون : تخشى ان يغضب له العامة ؟
نابليون : نعم .
بون : لتعملن فيهم مجزرة كما عملنا فى العميان .
نابليون : كم قتلتم من العميان ؟
بون : سبعمائة .
برطلمين : (الواقف قريبا من الباب) وتسعة وعشرين يا سيدى القائد . (ينظر اليه نابليون بازدراء) ان شئت العدد يا سيدى بالضبط .
يعقوب : لا شك عندى يا سيدى القائد . انه الشيخ سليمان الجوسقى .
نابليون : دليلك ؟
يعقوب : يكفى انه صديق المعلم جرجس الجوهرى .
نابليون : المعلم جرجس الجوهرى من اصدقائنا المخلصين .
يعقوب : فى الظاهر فقط .
نابليون : يعقوب .. لا تدخلنا فى حزازاتك
يعقوب : يا سيدى ..
نابليون : كفى !
(يسكت يعقوب وتبدو على برطلمين الشماتة)
بون : نمضى فى عملنا يا سيدى القائد العام ؟

نابليون : نعم (يجلس على المنصة ويجلس بون بجانبه ويبحث يعقوب فلا يجد مقعدا فيبقى واقفا) .

برطلمين : (ينظر فى شمالة الى يعقوب) هاتوا غيره .

(يساق احد الثوار حتى يقف امام المنصة)

بون : اسمك ؟

الرجل : محمود عوضين .

بون : مهنتك ؟

الرجل : حداد .

بون : عضو فى لجنة الثورة ؟

الرجل : نعم .

بون : ماذا كان عملك ؟

الرجل : كنت اصنع لهم السيوف والسكاكين والفؤوس واصلح لهم البنادق والطبنجات .

بون : من كان يكلفك بذلك ؟

الرجل : زعيم الثورة .

بون : من هو ؟

الرجل : اذا قتلتنى اخبرتك .

نابليون : (غاضبا) خذوه . اعدموه . (يخرجون به)

بون : كلهم كان هكذا يا سيدى القائد .

نابليون : كلهم ؟

بون : كانما لقنهم ملقن واحد .

نابليون : كم بقى منهم ؟

بون : كم يابرتلمى ؟

برطلمين : اربعمائة واثنا عشر رجلا وثلاثون امراة .

نابليون : ضبطوا جميعا متلبسين ؟

بون : نعم .

نابليون : اقتلوهم جميعا .

بون : دفعة واحدة ؟

برطلمين : افضل لتكون مجزرة واحدة ..

نابليون : كلا . اقتلوا كل ليلة ثلاثين والقوا بجثثهم فى النيل .

كلا . اقتلوا كل ليلة ثلاثين والقوا بجثثهم فى النيل .

برطلمين : صحيح .. هذا اصوب واحكم . (على حدة) لنستمتع مدة أطول ! .

يعقوب : والشاب القبطى الذى حاول اغتيالى ؟

برطلمين : هو فيهم .. سيقتل ضمنهم .

يعقوب : كلا .. ينبغى أن تأمر باحضاره ياسيدى القائد لان له معى حالة خاصة

برطلمين : (على حدة) باليته اراحنا منك .

نابليون : احضروه .

برطلمين : هاتوا الشاب القبطى .. بطرس عوض .

(يساق بطرس حتى يقف أمام المنصة).

هو هذا غريمك ؟

يعقوب : نعم .

بون : انت حاولت اغتيال الجنرال يعقوب ؟

بطرس : نعم .

بون : لماذا ؟

بطرس : لانه خائن .. خان البلد والشعب .

يعقوب : من الذى أوعز اليك ؟

بطرس : لا احد .. اردت ان اطهر الاقباط من عـار خيانتك .

يعقوب : كذبت . المعلم جرجس الجوهرى هـو الذى اوعز اليك .

نابليون : (ليعقوب) صه . قد اعترف بجريمته فاقتلوه .

يعقوب : دعنى يا سـيدى القـائد اتولى انا ضربه بالرصاص . ارجوك .

نابليون : لا بأس . اخرج معه .

يعقوب : شكرا ياسيدى القائد . ساطلق الرصاص على هذا الخائن ثم انطلق لالحق الجنرال ديزيه فى الصعيد واقاتل معه المارقين . هل تامرنى بأن ابلغه شيئا ؟

نابليون : (فى غير احتفال) تحياتى .

(يخرج يعقوب)

بون : انتهينا الآن من العامة فهل نحضر لك المشايخ ؟

نابليون : اجل انا ما جئت الا من اجلهم .

برطلمين : ما بقى غير الشيخ سليمان الجوسقى والشيخ يوسف المصيلحى .

نابليون : والباقون ؟

برطلمين : اعدمناهم امس وهم عراة كما امرت .

نابليون : استجوبتهم ؟

بون : نعم وكانوا وقحين فى اجاباتهم .

نابليون : احضروا الجوسقى والمصيلحى .

برطلمين : عاريين ؟

نابليون : (محتدا) يا احمق .. يا غبى .

برطلمين : مثل المشايخ الآخرين .

نابليون : استجوبتهم عراة يا جنرال بون ؟

بون : كلا يا سيدى انما جردوا من ثيابهم ساعة الاعدام .

برطلمين : (ينظر اليه نابليون نظرة صـارمة) معـذرة يا سيدى القائد لقد ظننت انك ..

بون : (يصيح مقاطعا) ناد باسميهما .

برطلمين : سمعا يا سيدى القومندان . (مناديا) هاتوا الشيخ سـليمان الجوسقى والشـيخ يوسف المصيلحى .

(يساقان مقيدين حتى يقفا امام المنصة .)

الجوسقى : ما تريدون منا بعد ؟

برطلمين : انت امام سارى عسكر .

الجوسقى : مرحبا بسارى عسكر الفرنسيس . خطـوة عزيزة .

نابليون : انت زعيم الثورة ؟

الجوسقى : انت ايضا تسالنى هذا السؤال .

نابليون : اجب على سؤالى .

الجوسقى : لقد قتلتم سبعمائة من اتباعى المكفوفين .

برطلمين : سبعمائة وتسعة وعشرين .

الجوسقى : انت اصدق يا فرط الرمان . فاقتلونى واتموا العدد سبعمائة وثلاثين .

نابليون : هل انت زعيم الثورة .

الجوسقى : هذا شرف لا ادعيه . انا شيخ العميان .

نابليون : وزعيم الثورة ؟

الجوسقى : ان كان معقولا عندك وابيت الا ان تسنده الى فانت مشكور .

نابليون : من اذن ؟ السادات ؟

الجوسقى : ابو الأنوار احرص على دنياه وعلى عافيته من ذلك .

نابليون : فمن اذن ؟

الجوسقى : سل الجنرال ديبوى يخبرك .

(يسكت نابليون كاظما غيظه)

برطلمين : ويلك الجنرال ديبوى قد قتل .

الجوسقى : اذن فان تجدوا الجواب ابدا فان الذى كان يستطيع ان يجيبكم قد ذهب .

نابليون : اتريد ان تقول ان زعيم الثورة هو الذى قتله ؟.

الجوسقى : هو الذى غرس الحرية فى تندوته اليسرى .

نابليون : كيف علمت ؟

الجوسقى : كانت تاتينى انباء كل شىء قبل ان تحبسونى فى سجن هذه القلعة .

نابليون : انت اذن تعرف من هو ؟

الجوسقى : نعم ولكنى لن اخبركم باسمه ابدا .

برطلمين : دعنى اجلده يا سيدى مائة جلدة .

الجوسقى : ولو قطعتم عنقى ولو ضربتمونى بالرصاص .

برطلمين : دعنى اجلده اولا قبل ذلك .

بون : اذكر لنا اسمه خيرا لك .

الجوسقى : كان الكولونيل سلكوسكى يستطيع ان يدلكم عليه لو انه عاش .

نابليون : اتريد ان تقول انه هو الذى قتل سلكوسكى ايضا ؟ (يظهر عليه التأثر)

الجوسقى : نعم عرف انك تحبه وتعزه فتعمد ان يقتله ليسحق قلبك .

نابليون : (غاضبا) لكنى انتقمت له أشد انتقام .

الجوسقى : ما انتقمت الا من نفسك لان وباله كان عليك .

نابليون : قتلنا من عميانك سبعمائة .

برطلمين : وتسعة وعشرين يا سارى عسكر .

نابليون : (محتدا) لا تقاطعنى يا غبى .

برطلمين : معذرة يا سارى عسكر .

نابليون : اسكت !

برطلمين : سمعا يا سارى عسكر .

نابليون : اقفل فمك !

الجوسقى : قتلتهم عميانا ليكونوا عند الله احياء مبصرين . فكنت انت الخاسر وكانوا هم الفائزين .

نابليون : وابطلنا الديوان فانكم لا تستحقونه .

الجوسقى : ما اهونه . كنتم تضحكون به على الأمة فارحتموها

نابليون : ودمرنا جامعكم الأزهر وربطنا خيولنا فى اروقته .

الجوسقى : الجامع الازهر هو الذى نال منك ولم تنل منه شيئا اذ دمغك بالحجة فعرف المصريون جميعا ما قيمة دعاويك الفارغة من احترامك للدين ولنبى المسلمين . ونحن المسلمين لا نقدس الاحجار ولا الأبنية بل نعبد الله فى كل مكان ونبينا يقول

جعلت لى الأرض مسجدا .. الأرض كلها .. أسمعت ؟

نابليون : الواقع اننا ما دنسنا الأزهر وانما أنتم الذين دنستموه باتخاذه مركزا للثورة والعصيان .

الجوسقى : كلا ما تدنس الأزهر بل تركى وتقدس بالدماء الزكية التى سالت عليه فى سبيل الله وسيبقى على الدوام قلعة الجهاد ومثابة المجاهدين ومركز الثورة والثائرين على الباغين والظالمين .

نابليون : هيهات لقد اقمنا القلاع على التلال المطلة عليه ونصبنا فيها المدافع وسنقيم القلاع والطوابى فى المقس وطولون وفى الظاهر وقنطرة الليمون . وفى قصر العينى والمقياس وفى ابو الريش وتل العقارب وبولاق وفى كل مكان .

الجوسقى : افعلوا ما انتم فاعلون . فلن يزيدكم ذلك الا كراهية عند العامة واحتقارا لدى الخاصة ولن يزيد الهوة التى تفصل بينكم وبيننا الا اتساعا وعمقا فلن يقر لكم بعد ذلك قرار . اتذكر تلك الرديا التى قصصتها يوما عليك ؟ هذا تأويلها اليوم يا بونابرتة . الدودة التى كانت ستاكل لباب النخلة قد التهمها الثعبان . فنجت النخلة . النخلة مصر والثعبان جيشك والدودة حيلتك !

(يصمت نابليون ويغرق فى تفكير عميق)

المصيلحى : يا سارى عسكر الفرنسيس لقد جعلتنى اغار من الشيخ سليمان الجوسقى .

نابليون : ماذا تريد أن تقول ؟

المصيلحى : استاثر هو باهتمامك وعنايتك وتركتنى وانا شاب مثلك وهو شيخ كبير . وانا مبصر مثلك وهو كفيف ضرير .

نابليون : ماذا عندك ؟

المصيلحى : عندى لك كل ما تحب .

نابليون : يا ماكر يا مخادع .

المصيلحى : هذا ايضا من وجوه الاتفاق بينى وبينك .

نابليون : يا وغد .

المصيلحى : من أجل الشيخ المهدى تشتمنى ؟ انت اكبر من ذلك وهو اصغر واحقر .

نابليون : من زعيم الثورة ؟

المصيلحى : وتصدقنى ان اخبرتك ؟

نابليون : اذا قلت الصدق .

المصيلحى : انا لا اقول الا صدقا .

نابليون : من ؟

المصيلحى : ولى الامان من غضبك ؟

نابليون : نعم .

المصيلحى : احلف لى باقدس شىء عندك .

نابليون : نعم .

المصيلحى : احلف لى بشرف زوجتك .

برتلمين : أيها الوغد اما عندك ذرة من الذوق ؟

المصيلحى : قبح الله وجهك . أليس شرف زوجته اقدس شىء عنده ؟

برتلمين : بل لك قصد سيء .

المصيلحى : ماذا تعنى يا غبى ؟

برطلمين : انت تعنى ..
نابليون : اسكت يا غبى !
برطلمين : انه يا سيدى القائد يقصد ..
نابليون : لعنة الله عليك اقفل فمك ! (يلتفت الى المصيلحى متجلدا) احلف لك بذلك .
المصيلحى : من سوء حظنا انها لم تات معك . لماذا لم تات بها معك ؟
نابليون : ويلك ما شانك ؟
المصيلحى : لو كانت هنا عندك لما انتقمت من نسائنا البريئات بالاهانة والترويع والتقتيل .
برطلمين : سمعت يا سيدى القائد ؟
نابليون : اسكت انت (يلطمه لطمة قوية)
برطلمين : (يمسح اللطمة عن وجهه) يا سيدى القائد كان هو احق منى بهذه اللطمة انا كنت ادافع عن شرفك .
المصيلحى : قبحك الله . القائد ليس بحاجة الى من يدافع عن شرفه !
برطلمين : (غاضبا) يا سيدى القائد انا ابن ستين كلبا ان لم يكن هذا الشيخ سيىء القصد فيما قال .
نابليون : (محتدا) يا ابن ستين كلبا امسك لسانك .
(يسكت برطلمين مغتاظا)
بون : شيخ مصيلحى انك لم تجب بعد على السؤال .
المصيلحى : اجل .. معذرة .. شغلنا فرط الرمان هذا

بآبائه الستين (ضحك مكتوم) حتى انساني السؤال .
نابليون : من زعيم الثورة ؟ .
المصيلحى : اجل . ساجيب الآن على سؤالك بعد ما حلفت لى بأقدس شيء عندك بشرف زوجتك .
نابليون : اجب ؟ .
المصيلحى : لو قتلتم الشعب كله ولم تبقوا غير رجل واحد لكان هو زعيم الثورة .
الجوسقى : صدقت يا شيخ يوسف ! .
نابليون : هذه الكلمات لا ترهبنى . لقد جاءنى شيوخكم يقبلون اطراف ثوبى ويطلبون عفوى ومغفرتى ويرجون منى أن اعلن العفو العام ففعلت اكراما لشيوخ الاسلام .
الجوسقى : هؤلاء ليسوا شيوخ الاسلام بل شيوخ الوقت .
نابليون : وانت اى شيء انت ؟ الم تكن تخزن الغلال والسمن والعسل والسكر والزيت فى سنى الرخص لتبيعها فى سنى الغلاء باقصى القيمة ؟ الم تكن تستولى على تركات من يموت من اتباعك العميان ؟ الم تكن تقرض الاكابر مقادير كبيرة من المال ليكون لك عليهم الفضل والمنة فتسخرهم فى خدمة اغراضك وقضاء مآربك ؟ الم يكن همك كله جمع المال بكل وسيلة ومن كل سبيل ؟ .
الجوسقى : بلى بلى بلى . قد كان منى هذا واكثر من هذا

ولكنى لم اطأطىء رأسى لأحد من البشر اطلب عفوه ومغفرته .. بل لجـــأت الى ربى الحى القيوم مالك الملك رب العالمين استغفره واتوب اليه عسى أن يغفر لى ويكفر عنى سيئاتى التى ذكرتها وسيئات اخرى لا تعلمهـا انت ، الله وحده يعلمها (يبكى) .

(ينظر اليـه نابليون مليـــا فى اعجاب واكبار)

نابليون : انى لمعجب بك حقـــا يا شيخ سليمان . انك لنسيج وحدك .

الجوسقى : وانى لمعجب بك يا بونابرته . ومنـــذ بلغتنى كلماتك التى قلتها لجنودك فى معركة الاهرام ادركت اننى امام رجل عظيم .

نابليون : وكان بودى أن اصـــطفيك لو لـم تجابهنى بعداوتك .

الجوسقى : ولوددت انا ايضا لو استطعت ان اتخذ لى منك صديقا .

نابليون : ماذا كان يمنعك .

الجوسقى : عدوانك على وطنى وامتى ودينى .

نابليون : انا جئت لأحرركم من حكم المماليك والأتراك .

الجوسقى : لتجعلنا بعدهم عبيدا للفرنسيس .

نابليون : بل لنتعاون جميعـا على ما فيـه خيركم وخير بلادكم .

الجوسقى : لو كنت صادقا فى ذلك لقبلت ما اقترحته عليك من انشاء جيش الشعب .

نابليون : لو لم اكن صـــادقا ما عرضت عليـك منصب السلطنة .

الجوسقى : لتجعل على البلاد سلطانا اعمى ..

نابليون : انت عندى بالف الف بصير .

الجوسقى : لكى يليها ولدى الأحمق من بعدى فيكون انعوبة فى ايديكم ؟ .

نابليون : ان شئت جعلنـاها جمهورية كما فعلنا عندنا فى فرنسا .

الجوسقى : فستلعبون برئيسها كما تلعبون بسلطانها .

نابليون : ويلك انك لا تعرف ماذا تريد لبلادك .

الجوسقى : بلى يا بونابرته اعرف ماذا اريد اريد لبلادى أن تحرر نفسها بنفســـها وتختار حاكمها من صميم شعبها .

نابليون : كنت اذن تخادعنى اذ اقترحت على انشـــاء جيش الشعب ؟ .

الجوسقى : كمـا كنت تخـادعنى اذ عرضت على منصب السلطنة .

نابليون : لم لا ننتاسى ما مضى كان لم يكن ونعود فنتعاون منذ اليوم ؟ .

الجوسقى : هيهات .. فات الأوان .

نابليون : كلا ما فات الاوان .

الجوسقى : كيف وقد قتلتم اعوانى الذين بهم اصـــول واجول ؟ .

نابليون : ســنجعل لك اعوانا آخـرين تختـارهم انت بنفسك .

الجوسقى : وقتلتم زوجتى أم داود .

نابليون : كانت غلطة غير مقصودة فى ابان الزلزلة التى صاحبت الثورة وما أحسب ان أمرها يعنيك كثيرا فيما نحن بصدده .

الجوسقى : يرحمها الله . هى التى كانت تحلم لى طول عمرها بالسلطنة وتزينها لى فماذا اصنع بعدها بهذا المنصب ؟ .

نابليون : وكنت تقبل اليوم لو كانت فى قيد الحياة ؟ .

الجوسقى : نعم .

نابليون : فاعلم اذن انها لم تقتل وانها معززة مكرمة فى بيتك .

الجوسقى : ماذا تقول ؟ .

(يومىء نابليون بيده فاذا ناصحة تدخل منتقبة ومعها ابنها داود (وزوجته وبعض الوصائف) .

ناصحة : كيف انت يا سيدنا الشيخ ؟ الحمد لله على عافيتك . هذا داود وامراته جاءا معى لرؤيتك .

نابليون : الاسرة المالكة ! .

الجوسقى : (على حدة) الشجرة الملعونة ! .

داود : انت بخير يا ابه ؟ .

الجوسقى : بخير يا بنى . اسبقونى يا أم داود الى البيت . انا آت اليكم على الاثر .

ناصحة : الم اقل لكم ان زوجى رجل غيور ؟ هيا بنا يا اولاد . لا تتأخر كثيرا يا سيدنا الشيخ . نحن فى انتظارك .

(تخرج هى ومن معها)

نابليون : هيه . اطمأننت الآن يا شيخ سليمان ؟ .

الجوسقى : وصديقى الشيخ المصيلحى ؟ .

نابليون : سنطلق سراحه ايضا ونكرمه من أجلك .

المصيلحى : (هامسا) يا شيخ سليمان اياك ان تبيع نفسك .

الجوسقى : معاذ الله يا شيخ يوسف . اطمئن .

نابليون : تريد شيئا آخر ؟ .

الجوسقى : نعم اريد ان تعاهدنى يا جنرال بونابرته بشرفك (يمد يمناه) .

نابليون : بكل سرور (يمد يده ويصافح الجوسقى) .

(يلطمه الجوسقى بيده اليسرى لطمة قوية رنت فى القاعة . مفاجأة اذهلت الجميع) .

نابليون : (صائحا بالفرنسية) وغد ! .

الجوسقى : معذرة يا بونابرته . هذه ليست يدى . هذه يد الشعب .

نابليون : خذوه ! عذبوه ثم اقتلوه ! .

الجوسقى : يا محمد كريم . انا قادم عليك . يا ايوب الدفتردار واشواقاه اليك ! .

المصيلحى : بوركت يا شيخ سليمان . جواب حاسم .

نابليون : وهذا الوغد ايضا عذبوه ثم اقتلوه .

برطلمين : انا الذى سأتولى ذلك بنفسى .

المصيلحى : (فى مرح واستخفاف) من شواهد النحو عندنا :

لا بأس بالموت اذا المـوت نزل
الموت احلى عندنا من العســل
ردوا علينا حقنا ثم بجل (١) .

(يسوقون الجوسقى والمصلحى بعنف وقسوة)

الجوسقى : (يلتفت صوب المنصة وهم يسوقونه) يوبابرته ! تذكر تاويل الرؤيا . نحن الرنا الثعبان حتى التهم الدودة . وغدا سنطرد الثعبان ؟ .

(ستار الختام)

www.liilas.com
منتديات ليلاس

(١) « بجل » يعنى : كفاية » .

www.liilas.com

florist

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٨٠ قرشا